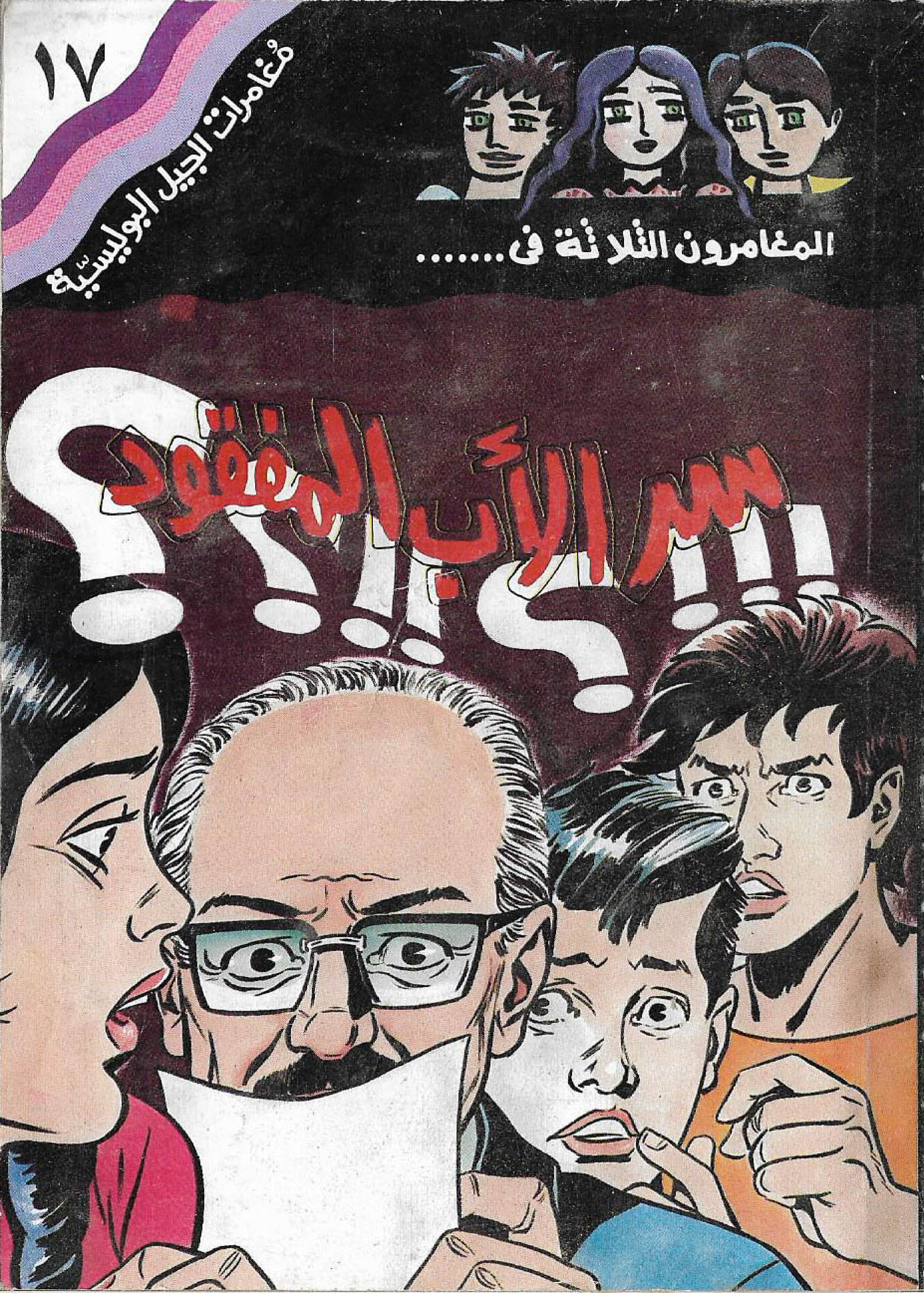
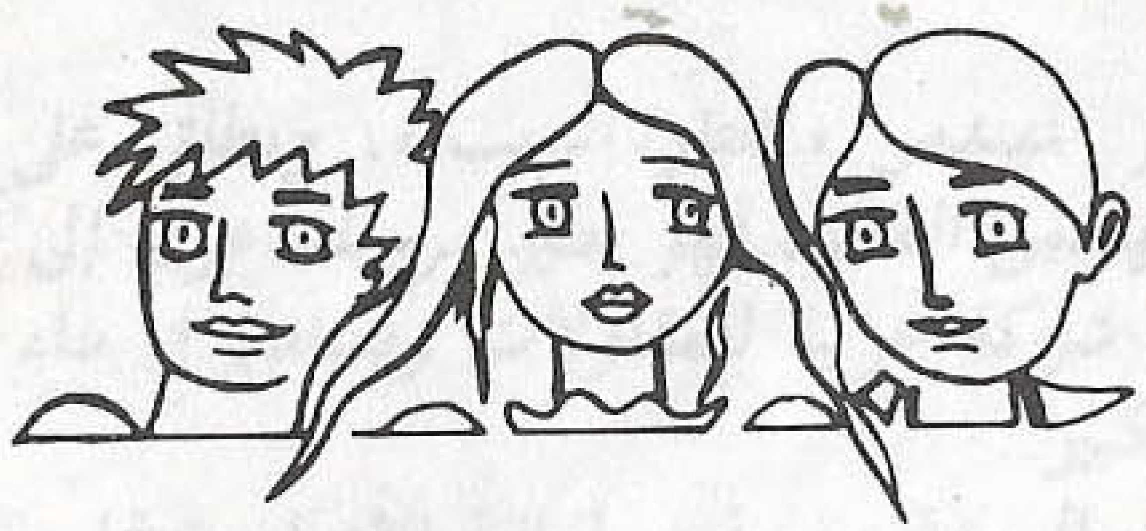

١٧
مُغامرات الجيل البوليسيّة
المغامرون الثلاثة فى.......
سر الأب المفقود

مُغامرات الجيل البوليسيّة



المغامرون الثلاثة في.......

سر الأب المفقود

تأليف : عفاف عبد الباري

١٧

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٨٨

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقيا: دارجيلاب - تلكس: ٤٢٦٤١ دار الجيل

من هم المغامرون الثلاثة؟

انهم « جاسر » و « ياسر » وشقيقتهما « هند »
وذلك حسب ترتيب الأعمار، والسنة الدراسية في المرحلة الثانوية.

الأب : هو المهندس « مختار الديب »، ويطلق على نفسه لقب المهندس الطائر، فهو يطير من بلد عربي إلى آخر.. يعمل في شركة عربية للمقاولات ويساهم في بناء العالم العربي الكبير..

الأم : هي السيدة « نبيهة »، لبنانية الأصل. تنتقل مع زوجها في كل مكان، بعد أن وصل الأبناء الثلاثة.. إلى أعتاب الشباب وسن المسؤولية..

ويبقى من الأسرة.. واحد من أهم أفرادها.. هو العم أو المقدم « عماد الديب »، الضابط بالشرطة الدولية « الإنتربول ».. وهو الرجل الصامت.. الهادئ دائماً.. وكأنما هو « أبو الهول » كما يطلق عليه زملاؤه.. وهو الذي يقيم مع المغامرين الثلاثة في منزلهم الأنيق البسيط، والذي تحيط به حديقة واسعة.. في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة..

وتلتقي الأسرة كلها عادة في صيف كل عام.. في مصر، أو في أي بلد عربي يعمل فيه الوالدان..

ومن هذا الخليط العربي الصميم.. الأب المصري والأم اللبنانية جاء هذا السحر الذي يتمتع به المغامرون الثلاثة.. العيون اللبنانية الخضراء، والبشرة المصرية السمراء أضفت على المغامرين جمالاً وجاذبية توجت ما يمتازون به من ذكاء فوق العادة، مع قوة ملاحظة وسرعة تصرف، كانت وراء النجاح تلو النجاح في كل مغامرة يتعرضون لها..

وهذه واحدة من هذه المغامرات.. الغريبة الغامضة.

هند ... وعَجيبة



يَاسِـر　　جَاسِـر





بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

رسالة من مجهول

صحت « هند » من نومها مذعورة، فقد كانت تحلم بكابوس مفزع.. ونهضت جالسة في فراشها.. محاولة أن تلتقط أنفاسها وتسترد هدوءها.. ونظرت في المنبه الموضوع بجوارها، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً.. أخذت تسترجع هذا الكابوس.. ولكنها لم تنجح..

لم تذكر فقط إلا أنه كان شيء فظيع مروع..

وحاولت جاهدة أن تخرج من هذا الجو الكئيب.. فأمسكت بقصة بوليسية كانت قد بدأت في قراءتها.. ولكنها لم تفلح في التركيز في القراءة.. فقد هاجمتها سلسلة من الأفكار من هنا وهناك، ووقعت فريسة للظنون والهواجس..

وبعد قليل.. غلبها النعاس وعاودت نومها..

استيقظت « هند » على صوت « ياسر » وهو يصيح فيها: صباح الخير.. ماذا خططت لنا اليوم يا حضرة المفكرة العظيمة؟

ابتسمت.. وأسرعت تنهض من فراشها فقد خططت لقضاء اليوم كما هي عادتها.. ومهما سخر الجميع منها فإنها مؤمنة تماماً بفوائد التخطيط.. وترى أنه هو الذي ينظم الوقت ويوفره.. ونظرت إلى ورقة بجوار سريرها.. ووجدت أنها قد كتبت فيها قبل أن تنام..

« الاستيقاظ السادسة تماماً.. ارتداء الملابس في ربع ساعة.. إعداد الإفطار في ربع ساعة أخرى.. الإفطار: مربى.. جبنة.. بيض ثم الشاي واللبن.. الإفطار في السادسة والنصف تماماً.. ينتهي في السابعة.. اللقاء في التاسعة بعد ساعتين للاتفاق على تخطيط باقي اليوم.. ».

قفزت « هند » بعد أن ارتدت ملابسها.. وأسرعت تنزل درجات السلم في رشاقة.. وقبل أن تصل إلى الدرجة الأخيرة توقفت في مكانها.. كان هناك شيء صغير ينزلق تحت باب المنزل ويكاد يختفي تحت السجادة.. وتقدمت « هند ».. ومدت يدها لتأخذ هذا الشيء.. كان مظروفاً أنيقاً أزرق اللون مذهب الأطراف وكتب عليه اسم والدها.. ولا شيء آخر..

فتحت « هند » الباب فلم تر أحداً.. ونادت شقيقها « ياسر » وسألته: هل رأيت أحداً يقترب من المنزل؟ قال « ياسر » إنه لم ير أو يسمع شيئاً.

وتعجبت « هند »، ولماذا لم تصل الرسالة في البريد العادي، أو لماذا لم يدق صاحب الرسالة الجرس.. ونظرت في الرسالة مرة أخرى، لا شيء غريب.. الاسم مكتوب على الآلة الكاتبة.. المهندس « مختار الديب » فقط..

وهزت « هند » كتفيها.. ووجدت أن الوقت يمر سريعاً وهذا سيؤدي بالضرورة الى اختلاف التخطيط الذي أعدته.. فوضعت الرسالة بجوار طبق والدها.. وأسرعت إلى المطبخ تساعد والدتها في إعداد الإفطار.. وبسرعة حتى تعوض الوقت الضائع..

في السادسة والنصف تماماً أمسكت بالجرس الصغير وهزته هزات متتالية فأسرع « جاسر » و « ياسر » إلى قاعة الطعام في الوقت الذي نزل فيه والدهم درجات السلم وأخذت والدتهم مكانها على المائدة..

تبادل الجميع تحية الصباح، وأخذ والدهم يداعبهم واحداً بعد الآخر سائلاً عن أخبارهم. وقال « جاسر » بحماس شديد: لقد نجحت يا أبي في طبع البصمات.. نعم أصبحت حالياً وبعد تجارب عديدة أستطيع أن أنقل آثار البصمات تماماً كأي خبير في معمل جنائي..

الأب : رائع يا « جاسر ».. لم يبق إلّا عدة شهور وتنال شهادة الثانوية العامة وتدخل كلية العلوم..

جاسر: وسأتخصص طبعاً في الأبحاث الجنائية..

نظر الأب إلى « ياسر » وسأله عن أخباره الرياضية، وقف « ياسر » وقفة تمثيلية ورفع ذراعه إلى جواره وأخذ يحرك عضلاته وصاح: انظروا.. إن لدي أقوى عضلات في العالم.

ضحك « جاسر » ونظر إلى شقيقه وقال: هناك طبعاً شيء أقوى من عضلاتك.. وأشار « جاسر » إلى رأسه..

وقبل أن يرد « ياسر »، ضحك الوالد وقال: وأنت يا « هند ».. ما هي أخبار خططك؟!..

لكن « هند » كانت مهتمة بشيء آخر.. فأشارت إلى الرسالة التي بجوار طبق والدها وقصت عليه الطريقة الغامضة التي وصلت بها الرسالة..

دهش الوالد وأمسك الرسالة بتعجب، وفتح الأب الرسالة بهدوء.. وكانت ترتسم على وجهه أبلغ آيات الدهشة مع كل كلمة كان يقرؤها حتى توقف الجميع عن الطعام، وانتابت « هند » اللهفة الشديدة وكادت تموت شوقاً لمعرفة محتويات الرسالة.

وأخيراً قال الوالد: شيء عجيب.. على الأقل كان يجب أن يكتب اسمه!!

صاحت « هند »: من؟ من يا أبي صاحب الرسالة؟!

قال الوالد: إنها دعوة غريبة.. بل أغرب دعوة تلقيتها في حياتي.. اسمعوا..

إلى أعز أصدقائي..

قد تدهش لوصول هذه الرسالة إليك، ولكن عندما نتقابل ستختفي كل أسباب الدهشة، أنا في انتظارك اليوم في الساعة السابعة مساء.. وعنواني هو: المعادي شارع ١٠ ڤيلا رقم ٢٠..

أرجو أن تحضر، وألا تفكر في التخلف، فلقاؤك أمل عشت من أجله عمري كله.. وسيكون لقاؤنا مفاجأة لك لن تنساها..

أرجو أن تحقق أملي..

صديقك

ع.ف.

صمت الجميع، وتعلقت العيون بوجه الأب منتظرة رده على هذه الدعوة، ولكنه ألقاها بجوار طبقه بغير اكتراث وعاد إلى تناول طعامه..

في صوت منخفض قالت « هند »: أرجوك يا والدي أن تذهب.. إننا لم نر المعادى منذ مدة طويلة.. خذنا معك في السيارة.. وسنتركك عند باب منزل صاحب الدعوة، ونتنزه في المعادي.. ثم نعود لانتظارك لنرجع معك..

الأب : حسناً أنتم تريدون لعبة مثيرة لتشبعوا فيها تحليلاً وتعليقاً.. سأذهب من أجلكم.. سنتقابل جميعاً هنا في الساعة السادسة.. ثم نذهب إلى المعادي حيث أقابل صديقي العزيز.. المجهول..

غادر الجميع المائدة.. وهزت الأم كتفيها علامة على عدم رضائها.. ووقف الأبناء على باب المنزل حتى ركب الأب سيارته وقادها إلى الطريق ورفع يده إليهم بالتحية.. ثم أسرع كل منهم إلى غرفته.. وفجأة قالت « هند »: يا إلهي.. لقد كدت أنسى « عجيبة » المسكين.. لقد شغلتني هذه المسألة الغريبة عنه فنسيت أن أقدم له إفطاره.

وأسرعت إلى المطبخ المطل على الحديقة، ثم نادت تستدعي كلبها الكبير « عجيبة » إلى الدخول وقدمت له الإفطار وهي تعتذر إليه.. وتقول: عزيزي « عجيبة ».. إنها أول مرة في حياتي أنساك فيها.. لا تغضب فهناك أمر آخر، سنخرج اليوم في نزهتنا مع والدي.. وأنت تعرف أنه يرفض اصطحابك.. سنتركك وحيداً.. ولكني أعدك

ألا نتأخر عنك.. كل طعامك، ثم اتبعني إلى غرفتي.. سنلعب معاً حتى موعد نزهتنا..

وربتت على ظهره.. وهز ذيله وكأنه قد فهم ما تريد « هند » أن تقوله له، فهو شديد الذكاء.. يحبها ويتبعها في كل مكان بل يفهم ما تريد من نظراتها إليه، وقبل أن تنطق به.



وقفت « هند » أمام مكتبتها، وأخذت تجمع من بينها كل الكتب التي تتناول قصصاً عن الرسائل المجهولة، أو الدعوات الغريبة، وكانت كلها تحكي مغامرات خطرة ومخيفة.

لم تستطع « هند » البقاء أكثر من ذلك، فطرقت الباب على « جاسر » فصاح إنه منهمك في تجربة مثيرة، ولا يستطيع قطعها، ولكنها صاحت فيه أيضاً، إن هناك

ما هو أهم، ثم نادت « ياسر » الذي أسرع يقفز إلى داخل الغرفة برشاقته المعهودة..

قالت « هند » باهتمام: اسمعا.. إنني أعتقد أن هذه الرسالة ليست دعوة عادية.. وقد قرأت كل القصص التي بها دعوات مشابهة ووجدتها لا تنتهي بخير..

قال « ياسر » ضاحكاً: أرجوك.. لا داعي لكل هذا الخيال، أعتقد أنه صديق عزيز لأبي وقد استأجر منزلاً جديداً ويقيم فيه حفلاً، وأراد أن يكون الحفل مفاجأة لأصدقائه..

جاسر: إذن تعالوا نتذكر.. مَنْ مِنْ أصدقاء أبي يبدأ اسمه بالحرفين ع. ف.؟

هند : ع. ف.؟ « عبد العزيز فهمي »؟ نعم الدكتور « عبد العزيز فهمي ».

جاسر: لا.. إنه طبيب كبير، وشخصية جادة جداً، ولا أعتقد أن عنده من الوقت ما يقضيه في مثل هذه الحفلات.

ياسر : لأبي صديق اسمه « عبد المنعم فريد ».. هو مهندس شاب، ومرح جداً، وأعتقد أنه هو الذي يمكن أن يقوم بهذه الدعوة.

هزت « هند » رأسها وقالت: لا.. لقد هاجر الأستاذ « عبد المنعم » في الشهر الماضي وقد أقاموا له حفل وداع كبير..

ياسر : على كل حال نحن لا نعرف أسماء كل أصدقاء أبي ولا داعي لكل هذا القلق.. بالعكس أنا معجب جداً بطريقة هذه الدعوة، وأعتقد أنني سأستعملها في عيد ميلادي القادم..

جاسر: لننتظر.. لم يعد هناك وقت طويل.. كلها ساعات قليلة ونعرف كل شيء..

وضحك « ياسر » وهز كتف شقيقه وقال: طول عمرك حكيم يا « جاسر »..

وهزت « هند » رأسها.. لأنها لم تقتنع..

* * *

في السادسة تماماً التقى الجميع، واتجهوا إلى المعادي وعندما وصلوا إلى شارع ١٠، لاحظوا أنه توجد ڤيلا كبيرة متطرفة تقع في آخر الشارع.. بل أنها تحمل رقم ٢٠. قصر كبير يقف وحيداً في بداية الصحراء.. منفرداً صامتاً..

واقتربوا منه يسيرون على الأقدام.. كانت النوافذ مفتوحة والحديقة نصف مزهرة، وبابها مفتوح على اتساعه.. ولكن لم يبد هناك أي أثر لإنسان.. وانتفض الجميع على صوت دقات ساعة عالية صادرة من القصر الوحيد تعلن السابعة..

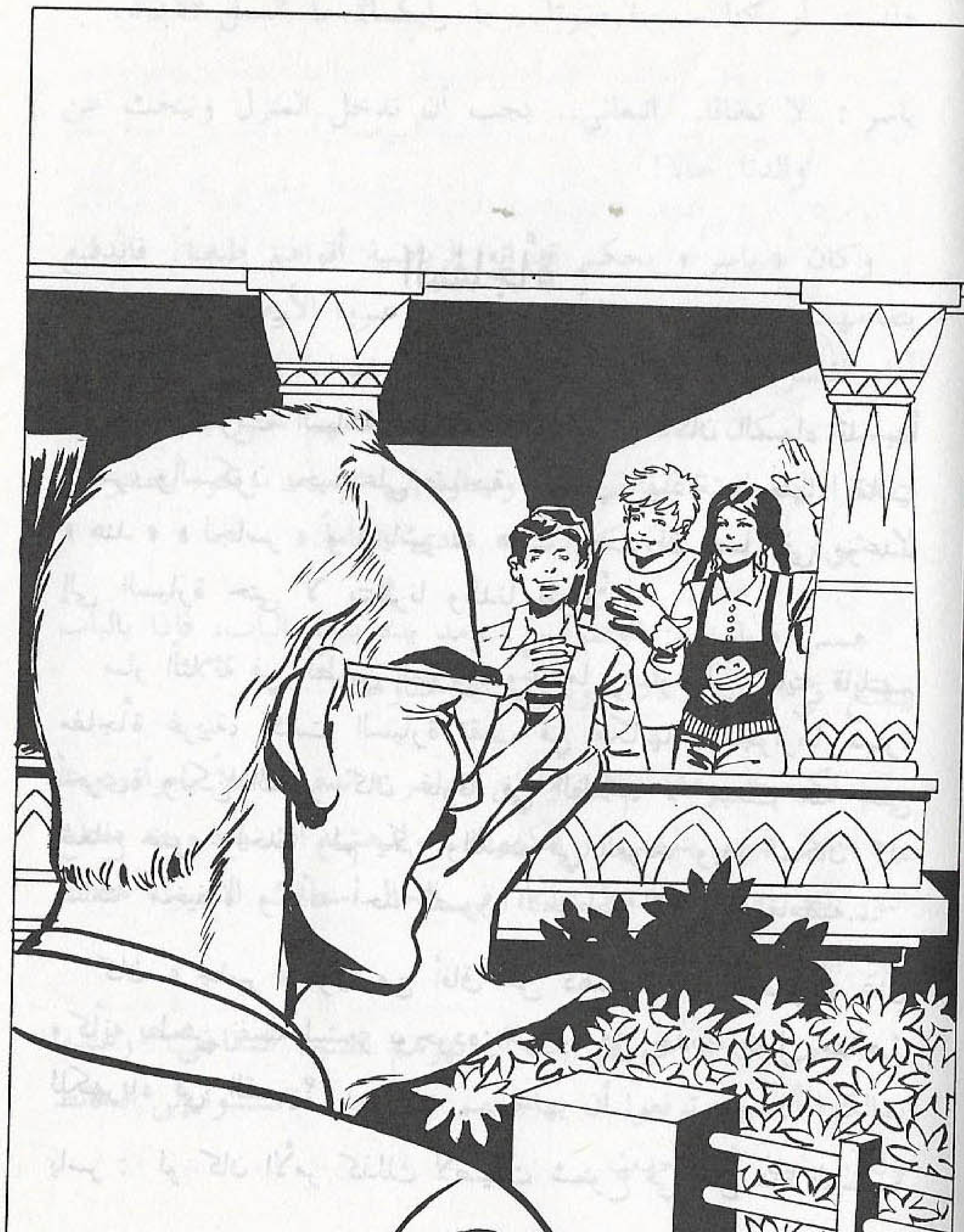
وهز الأب كتفه في مرح وقال:
إنه موعدي يا أولادي.. لقد عرفتم الطريق وسنلتقي عند السيارة بعد ساعتين.. لا تتأخروا فقد تنتهي الدعـوة قبـل ذلك، وسأضطـر لانتظاركم في السيارة.



وتقدم الأب نحو القصر، ومر ببوابة الحديقة ثم ارتقى سلالـم « الڤيلا ».. وقبل أن تمتـد يـده لتقرع الجرس، فتح الباب وسمع صوتاً يدعوه للدخول مرحباً..

واطمـأن الأولاد، فأسرعـوا يتقافزون في الطريق إلى حدائـق المعادي.. ولكنهم كانوا يتلفتون خلفهم بين وقت واخر نحو القصر الوحيد المنعزل..

* * *



المفاجأة :

عندما اقتربت الساعة من التاسعة إلا ربعاً كان المساء قد بدأ ينتشر، والسكون يخيم على ضاحية المعادي الهادئة بطبيعتها، فقالت « هند » « لجاسر » و « ياسر »: هيا.. يجب أن نصل في موعدنا إلى السيارة حتى لا ينتظرنا والدنا طويلاً.

سار الثلاثة في الطريق الطويل، وعندما وصلوا إلى نهايته قابلتهم مفاجأة غريبة، كانت السيارة تقف في مكانها، وبجوارها سيارة أخرى، ولكن القصر كان غارقاً في الظلام، لا ينبعث منه حتى شعاع ضوء واحد، ولم يكن والدهم في العربة، وبدا المكان كله صامتاً مخيفاً، وكأنه أحد قصور الأساطير القديمة الغامضة..

كان « جاسر » أول من أفاق من دهشته، فقال بصوت عالٍ وكأنه يطمئن نفسه ليشعر بوجوده: غريبة، هل حدث عطل مفاجئ للكهرباء في القصر؟

ياسر : لو كان الأمر كذلك لأضيئت شموع في مثل هذا البيت..

هند : أو كنا سمعنا صوتاً.. ما رأيكما؟ ما العمل الآن؟

ياسر : لا تخافا.. اتبعاني.. يجب أن ندخل المنزل ونبحث عن والدنا حالاً!

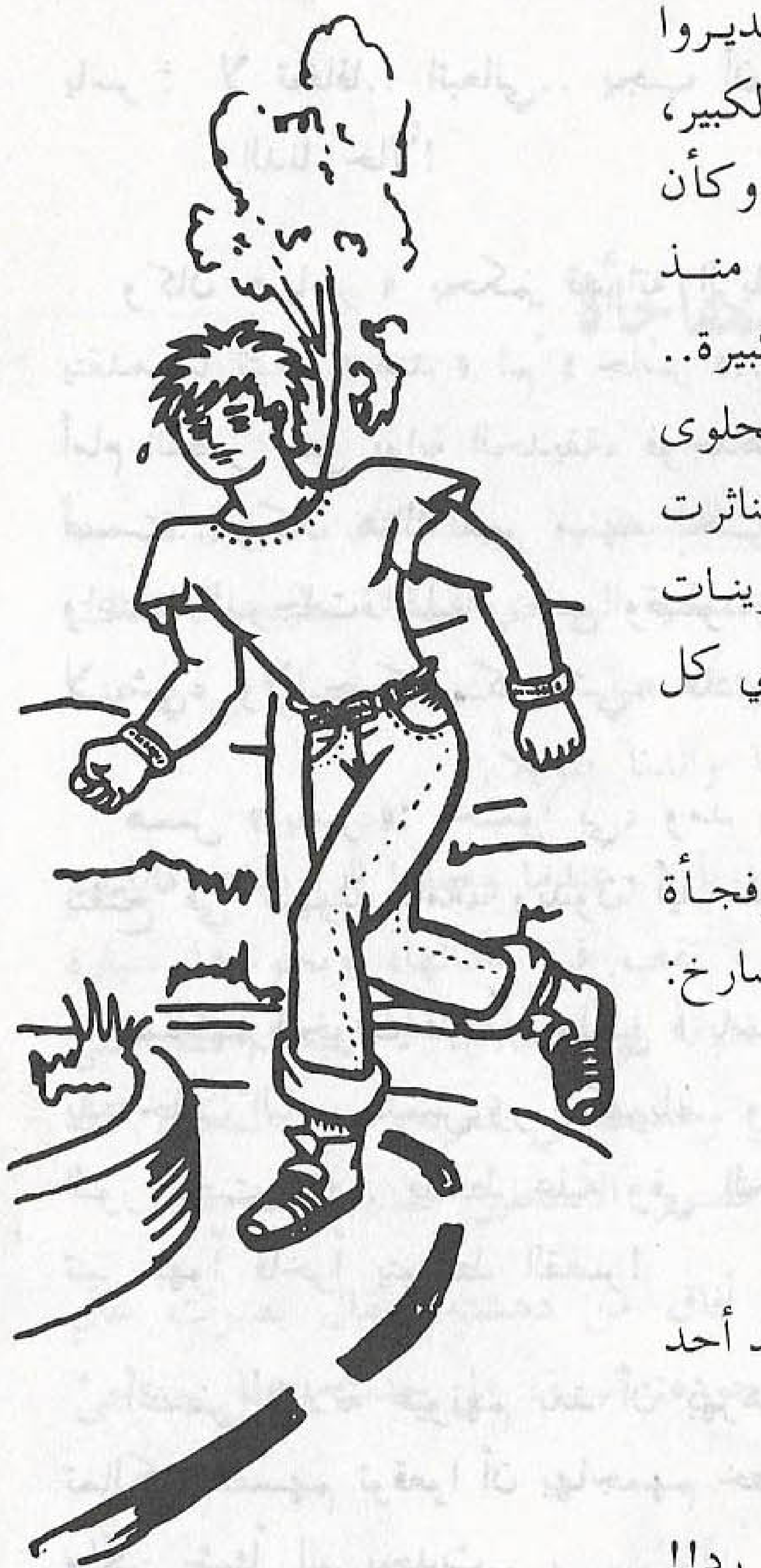
وكان « ياسر » بحكم قدراته الرياضية أقواهم طبعاً، فاندفع يتقدمهما تتبعه « هند » ثم « جاسر ».. عبروا الأرض غير الممهدة أمام القصر حتى بوابة الحديقة، فوجدها مفتوحة.. مروا خلالها في صمت.. وكان هناك ممر ممهد تحت أقدامهم حتى باب القصر، واعتلوا الدرجات القليلة، حتى وصلوا إلى الباب.. وقفوا ينصتون.. لا شيء ولا حركة، كل شيء هادئ تماماً..

همس « ياسر »: احتموا بي، ومد يده يدفع الباب، فإذا بالباب ينفتح في سهولة تامة، وبدون أية مقاومة!

تملكهم الخوف قليلاً.. ولكن « ياسر » اندفع داخلاً بجرأة، ومد يده خلف الباب يتلمس زر الكهرباء.. ولدهشته الشديدة وجد مفتاح النور تحت يده.. ضغط عليه وفي الحال سطعت الأضواء متلألئة تنير بهواً فاخراً يتوسط القصر!

أغمض الثلاثة عيونهم بعد أن بهرهم الضوء المفاجئ، وعندما تمالكوا أنفسهم توقعوا أن يهاجمهم خطر ما.. فاستندوا إلى الحائط ولكن شيئاً لم يحدث..

وعندما مضت لحظات المفاجأة، واستطاعوا أن يديروا بصرهم في البهو الواسع الكبير، كان كل شيء يبدو أمامهم وكأن حفلاً كبيراً قد انتهى منذ لحظات.. مائدة مستطيلة كبيرة.. عليها عشرات الأطباق من الحلوى و « التورتات » الفاخرة.. وتناثرت حولها أكواب الشاي، والزينات تملأ القاعة والزهور متناثرة في كل مكان..



داروا حول المائدة.. وفجأة صاح « ياسر » في صوت صارخ: أبي.. أبي.. أين أنت؟

ولم يرد غير الصدى..

صاح « جاسر »: ألا يوجد أحد هنا؟

ومرة أخرى لم يتلقوا أي رد!!

وأسرعوا يفتحون أبواب الغرف التي تحيط بالبهو.. وكانت المفاجأة الثانية.. الغرف خالية تماماً.. لا يوجد بها أي نوع من أنواع الأثاث.. ولا سجادة.. ولا ستارة..

ومرة أخرى اندفعوا يضيئون الأنوار في كل غرفة، ثم تسلقوا السلم إلى الدور الثاني وأضاءوا أنواره وفتحوا غرفه.. لا شيء سوى الفراغ..

وفي صمت ودهشة.. عادوا يلتقون في البهو، وقالت « هند »: من الواضح أنه ليس هناك جزء مؤثث في البيت إلا هذه الصالة..

جاسر: ومن الواضح أيضاً أن أبي لم يكن الضيف الوحيد.. فعلى المائدة عدد كبير من الأكواب..

ومضى « جاسر » يدور حول المائدة وهو يعد الأكواب ثم توقف وقال: انظروا!! شيء غريب.. على المائدة ثمانية أكواب للشاي.. سبعة منها مستعملة، والثامن خال تماماً من أي أثر للشاي!

هند : هذا معناه أن صاحبه لم يستعمله.

ياسر : أو لعله لم يحضر الحفل منذ البداية...

جاسر: وهذا هو الأرجح، وعلى رأس المائدة كأس بها بقايا عصير ليمون..

اقتربت « هند » لتمد يدها إلى الكوب ولكن صرخة حادة من « جاسر » أوقفتها.. وقال لها: لا تلمسي أي شيء.. يجب أن نترك

كل شيء هنا في مكانه حتى تأتي الشرطة..

ونظرت « هند » إلى « جاسر » وكأن كلمة الشرطة قد جعلتها تفيق من خواطرها وقالت: نعم.. ولكن كيف نتصل بها الآن؟! ربما عثرنا على « تليفون » في القصر..

ونظرت حولها. فعلاً.. كان هناك « تليفون » على مائدة صغيرة في ركن البهو.. وأسرعت إليه ورفعت السماعة.. ولكن للأسف.. لا توجد حرارة بالتليفون!

والتفت إليها « جاسر » وهو يلتقط شيئاً من الأرض، وقال: لا غرابة في ذلك، فسلك التليفون مقطوع تماماً..

جاسر: لقد أصبح الأمر واضحاً الآن.. لا شك أن في الأمر جريمة.. يجب أن نخرج من هنا.. وأن نستدعي الشرطة فوراً!

هند : نخرج؟! نخرج جميعاً؟! طبعاً لا.. ربما عاد المجرمون وأزالوا كل آثار جريمتهم.. يجب أن يبقى واحد منا هنا.. ليتنا أحضرنا « عجيبة » معنا، كان كفيلاً بأن يحرس القصر وحده...

فرد « ياسر » قائلاً: ليس هذا وقت الندم.. علينا أن نتصرف فوراً.. عندي اقتراح لو فتحنا النوافذ وأضواء الشرفة، فستسطع الأنوار وتضيء لي الطريق، وسيمكنني أن أذهب وحدي إلى أقرب مكان لأتصل تليفونياً بعمي « عماد »..



وبدأوا بتنفيذ الفكرة.. كانت أنوار الشرفة تنير الحديقة كلها فعلاً.. وحتى بداية الطريق.. وأسرع « ياسر » وهو يجري في سرعة إلى الشارع الطويل.. وتمتمت « هند » وهي تنظر خلفه: لقد استفاد « ياسر » من رياضة الجري، لعلها تفيدنا في موقفنا الآن..

ولم تسمع « هند » رداً من « جاسر ».. فالتفتت وراءها فزعة، ولكن « جاسر » كان مشغولاً في أمر آخر.. كان قد أخرج أنبوبة فارغة من جيبه، وأخذ يضع فيها بضع قطرات من بقايا الشاي الموجودة في أحد الأكواب، وفي أنبوبة أخرى أخذ بعض بقايا عصير الليمون..

هند: ماذا تفعل؟



جاسر: من حسن الحظ أنني أحتفظ دائماً في جيبي ببعض أنابيب الاختبار، وأعتقد أنها ستكون مفيدة لي هذه الليلة!

أخذت « هند » تنظر الى المائدة.. ثم وقفت أمام أحد الكراسي وقالت: أنظر.. لقد كان أبي يجلس هنا بالتأكيد، فهذه بقايا سيجارته.. إنه متعود أن يطفئ السيجارة وهي في منتصفها حتى لا يشربها كلها كما أمره الطبيب..

وفجأة اجتاحتها موجة من البكاء.. وصرخت: أبي.. أبي.. أين أنت يا أبي؟

جاسر: « هند »! أرجوك أن تهدأي.. إن البكاء لن يجدي الآن.. يجب أن نفكر بكل عقولنا..

هند : ولكنها كانت فكرتي في أن يحضر.. لم يكن يريد الحضور، أنا التي ألححت عليه!

جاسر: أرجوك أن تهدئي يا « هند ».. حتى نفكر بهدوء، لقد كانت فكرتنا جميعاً أن يحضر أبي إلى هنا.. إن الشرطة على وشك الوصول.. ويجب أن نتحدث إليها فلا داعي لهذا الارتباك!.

اقتنعت « هند » بكلام « جاسر » وبدأت تهدأ قليلاً، عندما سمعت حركة قرب الباب أعقبتها صرخة مكتومة..

أسرعت إلى الباب ومعها « جاسر ».. وكانت المفاجأة أنهما رأيا « ياسر » يتقدم نحو الباب، وأمامه رجل عجوز لا يكاد يقوى على السير و « ياسر » يدفعه بغلظة نحو الباب، وأخيراً رفعه بيد واحدة دفعة واحدة ودفعه إلى داخل البيت.. وسألت « هند » في دهشة: من هذا الرجل يا « ياسر »؟!

ياسر : إنه لا يريد أن يتكلم.. وقد وجدته في حجرة صغيرة بجوار البوابة عند عودتي يبدو أنها معدة للبواب.. وكان متظاهراً بالنوم.. حاولت أن أتحدث إليه فادعى أنه أخرس.

جاسر: لا، أنظر إليه.. إنه يفهم كل كلمة نتحدث عنها، ولكنه يرفض الكلام معنا، وأظن أنه سيتحدث إلى الشرطة جيداً!

صرخ الرجل: لا.. لا.. ثم صمت تماماً!

هند : من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ أين ذهب صاحب البيت والمدعوون؟ تحدث..

ولكن الرجل بدأ يرتعد ويبكي.. ويهز رأسه وكأنما قد أصابته نوبة عصبية، والتف حول نفسه ورقد خائفاً خلف الباب..

جاسر: لا فائدة.. يجب أن نحرسه جيداً.. حتى تأتي الشرطة! وماذا فعلت يا « ياسر » هل تمكنت من الاتصال بالمقدم « عماد »؟

قال « ياسر » باقتضاب وهو ينظر إلى الرجل نظرات قاسية: للأسف إن عمي في مهمة عمل خارج القاهرة، فاتصلت بأحد زملائه وهو في الطريق الآن!



لم يكد ينتهي من حديثه.. حتى ارتفع صوت سيارة النجدة.. وأسرع رجال الشرطة يتقدمهم ضابط شاب يرتقون السلم إلى باب البيت..

التفّ الثلاثة حول الضابط يقصون عليه القصة، يتكلمون كلهم في وقت واحد، وابتسم الضابط وهو يحاول تهدئتهم وقال لهم: أولاً.. دعوني أقدم لكم نفسي.. النقيب « حسين عبد السلام » زميل المقدم « عماد » والآن أرجو أن يقص عليّ واحد منكم القصة كلها..

بدأ « ياسر » يتحدث فقص عليه الحكاية من البداية حتى العثور على الرجل العجوز، والتفت « ياسر » خلفه يشير إلى الرجل.. ولكن كانت أكبر مفاجأة هزتهم ذلك اليوم أن الرجل لم يكن في مكانه!! أسرع النقيب « حسين » يلقي أوامره إلى رجاله بالبحث عن العجوز حول القصر.. ويبدو أنه انتهز فرصة التفاف الأولاد حول الضابط فتمكن من التسلل إلى الخارج..

وبدأ الضابط التفتيش والإجراءات القانونية، ثم التفت إلى « ياسر » وقال: على فكرة.. أعتقد أن الوقت متأخر الآن.. وأن والدتكم بالتأكيد في قلق عليكم.. سأرسل معكم شرطياً خاصاً يفتح سيارة والدكم ويقودها بكم إلى المنزل.. وأرجو أن تطمئنوا وسأكون على اتصال بكم..

ونادى أحد رجال الشرطة وألقى إليه بأوامره، وصافح الأولاد النقيب « حسين ».. وساروا مع الشرطي حتى السيارة.. وبمفتاح خاص معه فتح بابها، وكانت السيارة الثانية ما زالت في مكانها بجوار عربتهم.. وقاد الجندي السيارة إلى منزلهم في مدينة المهندسين..

دخل « ياسر » يتبعه « جاسر » ثم « هند » إلى البيت، كانت والدتهم تجلس في هدوء تام تقرأ كتاباً في يدها، ولا يبدو عليها أي مظهر من مظاهر القلق.



رفعت الأم عينيها إليهم وقالت: لماذا تأخرتم؟ إنني في انتظاركم لتناول العشاء.. وقد حدثني والدكم في التليفون من مدة طويلة وقال إنكم في طريق العودة..

صرخوا في وقت واحد: بابا.. تكلم!! متى تكلم؟! ماذا قال لك؟!

قالت الأم مندهشة: ماذا قال؟! لماذا تصرخون هكذا؟

لقد قال لي إنه تعرف على صديقه وأنه سعيد جداً بلقائه.. وأنهم سيشتركون معاً في مشروع هندسي كبير، ولذلك اضطر والدكم للسفر معه فجأة.. وسيتأخر عدة أيام.. وقال لي إنه لم يتمكن من لقائكم وإنكم ستعودون إلى البيت قطعاً عندما يتأخر عنكم..

نظر الثلاثة بعضهم إلى بعض.. ولم يستطع واحد منهم أن يتكلم.. وفجأة سقطت « هند » جالسة على المقعد ودموعها تغالب ضحكاتها.. وكأنما قد أصابتها حالة نفسية فلم تعرف أسعيدة هي أم شقية؟!!

* * *



مهمة ياسر ..

بعد ان انتهوا من العشاء.. صعد الجميع إلى حيث ينامون.. وانتظرت « هند » حتى اطمأنت إلى أن والدتها قد نامت تماماً.. فأسرعت تتسلل إلى غرفة شقيقيها.. وكما توقعت كانا ما يزالان مستيقظين ويتبادلان الحديث والمناقشات..

هند : إن أفضل ما فعلناه أننا لم نقص على والدتنا شيئاً مما حدث.. أعتقد أن القلق كان يقتلها لو عرفت الحقيقة!

ياسر : هل تعتقدين أن مكالمة والدنا كانت مزيفة؟!

هند : لا.. ولكني أعتقد أنه تحدث تحت الإكراه!

جاسر: وما دليلك على ذلك؟

هند : أعتقد أنه لو كان الأمر طبيعياً لانتظرنا والدنا وأخبرنا بجهة سفره أو الحكاية بالضبط.. فمهما يكن المشروع عاجلاً، فإنه كان يجب أن ينتظرنا حتى يطمئننا بنفسه.. وعلى كل

حال يجب علينا أن نضع خطة نتفق عليها للوصول إلى الحقيقة..

جاسر: وما هي خطتك يا ملكة التخطيط؟

نظرت إليه « هند » بغيظ ولكنها لم ترد على استفزازه، وقالت وهي تخرج ورقة من جيبها: أولاً علينا أن نعرف الإجابة عن هذه الأسئلة:

١ ــ من هم المدعوون الآخرون؟
٢ ــ من هو المدعو الثامن الذي لم يحضر؟
٣ ــ من هو صاحب القصر؟
٤ ــ أين ذهب الرجل العجوز؟
٥ ــ من هو صاحب السيارة الثانية؟

وقبل كل شيء علينا أن نتصل صباحاً بالنقيب « حسين » ونخبره بموضوع المكالمة التليفونية.

ياسر : وكيف يمكن الإجابة عن أسئلتك الخمسة؟

هند : فكروا معي.. أنا أعرف كيفية الوصول إلى صاحب السيارة التي كانت بجوار عربتنا، فقد التقطت رقمها وهو ٥٦٧٧ ملاكي جيزة.. أما صاحب القصر فيمكننا أن نسأل الجيران عنه.



جاسر: عظيم يا « هند ».. وأنا عندي فكرة للوصول إلى العجوز الذي اختفى، « عجيبة ».. إنه مشهور باقتفاء الأثر، ولابد أن نجد في غرفة العجوز بعض بقاياه، ومنها يستطيع « عجيبة » أن يصل إليه.. أما الإجابة عن باقي الأسئلة فعلى كل منا أن يفكر حتى الصباح، ويجب أن ننام حتى نستطيع الاستيقاظ صباحاً بعقل هادئ.. ثم إن عندي تجربة هامة يجب أن أستيقظ مبكراً لاتمامها..

قال « ياسر » وهو يغمض عينيه: يا لهدوء أعصابك.. هل هذا وقت نضيعه في التجارب؟

وابتسمت « هند » وهي تغلق الباب وراءها، واندست في فراشها.. ولكن النوم لم يصل إلى جفونها إلا بعد أن استقرت على

رأي في شأن المدعو الثامن الذي لم يحضر الحفل..

* * *

في الصباح الباكر استيقظ الثلاثة مبكرين عن موعدهم، وعندما التقوا على مائدة الإفطار.. وجدوا والدتهم هادئة كعادتها وقد ارتدت ملابس الخروج وأخبرتهم أنها ستضطر إلى قضاء اليوم كاملاً عند شقيقتها التي مرضت فجأة.. وقد أوصت دادة « عواطف » بأن تعد لهم الطعام،

فقال « ياسر »: أرجو أن تطمئني على خالتي « نبيلة » ونحن بدورنا سنقوم ببعض الزيارات لو سمحت.. وسنعود مبكرين..

وافقت والدتهم وأكدت عليهم ألا يتأخروا في الخارج، التقت نظراتهم تحمل بعض الراحة، ولكن نظرات « جاسر » كانت تخبرهم بأن عنده من الأسرار ما يدعوهم للسرعة في تناول الطعام، وما أن انتهوا من الإفطار حتى أسرع « ياسر » يتبع « جاسر » إلى حجرته على حين اتجهت « هند » إلى المطبخ تقدم الطعام « لعجيبة ».. وهمست في أذنه أن يتبعها بعد أن يتناول إفطاره.. وجرت بسرعة لتلحق بشقيقيها..

كانا في انتظارها.. ويبدو على ملامح « جاسر » أنه يحمل أنباء خطيرة.. وقال بمجرد دخولها: « هند ».. لقد تأكدت الآن أنك على حق وأن هناك جريمة في الأمر..

نظرا إليه يستعجلانه فأكمل كلامه: لقد كانت تجربتي الهامة هي تحليل بقايا الشاي والليمون الذي أخذته في الأنابيب أمس.. هل تعرفان ماذا وجدت؟ بقايا الليمون ليس بها أي شيء.. أما بقايا الشاي، فقد وجدت بها مادة مخدرة.. هل تعرفان معنى هذا؟ أن صاحب كأس الليمون هو صاحب الدعوة، وقد دس المخدر للمدعوين في الشاي..

هند : لقد تأكدت ظنوني، فقد كان هناك سؤال يحيرني.. كيف يمكن أن يختطف سبعة أشخاص بدون أن تحدث أي فوضى في القاعة؟! لقد كان كل شيء منظماً في مكانه، ولا يوجد أي أثر لعراك أو مقاومة، والمخدر هو الرد الوحيد على هذا السؤال.. لم يعد هناك شك في أن في الأمر جريمة.

قال « ياسر » بهدوء: ولكن الشرطة لا تعتقد ذلك لقد اتصلت أول ما استيقظت بالنقيب « حسين » لأخبره بمكالمة والدي، وقد قال لي إنهم حققوا في الحادث أمس ولم يجدوا ما يستدعي الظن في وجود جريمة.. كانت كل الظواهر تعبر عن حفلة وانفضت ولم تصلهم أية بلاغات عن اختفاء أحد.. وعندما حاولت إقناعه بظنوننا ضحك وكأنه يستمع إلى أطفال.. ولذلك لا أرى داعياً لإخباره بمسألة نتيجة تجربة « جاسر »..

جاسر: إذن في هذه الحالة يكون دورنا نحن في كشف غموض هذا الحادث..

ياسر : على الأقل حتى نصل إلى دليل حاسم.. يمكن الاعتماد عليه..

هند : في هذه الحالة علينا أن نبدأ فوراً.. أمامنا الآن عدة مهام..

فضحك « ياسر » وقال: بدأ التخطيط..

صرخت « هند » في وجهه: ليس هذا وقت السخرية يا « ياسر »..

فتدخل « جاسر » مهدئاً: ولا وقت الشجار يا « هند ».. هيا ابدئي واشرحي لنا خطتك..

بدأت « هند » حديثها قائلة: طبعاً نحن نريد أن نعرف من هو صاحب القصر.. ومن هو صاحب السيارة الواقعة بجوار سيارتنا، ومن هو المدعو الثامن الذي لم يحضر؟ وبالنسبة للسؤال الأخير فأنا أتصور أنه لم يحضر الحفل لسببين.. إما أنه كان مشغولاً لدرجة أنه لم يحضر.. وإما أن الدعوة قد وصلته متأخرة.. وفي الحالتين فمن رأيي أنه يريد معرفة صاحب الدعوة الغامضة.. واقتراحي أن نكتب إعلاناً في الجرائد بالصيغة التالية: إلى الصديق الذي وصلته الدعوة للحضور إلى الحفل المقام في المعادي شارع ١٠ ولم

يتمكن من الحضور.. أرجو الاتصال « ياسر » تليفون رقم ٣٤٤٨٥٥٥.. فما رأيكما؟

صاح « ياسر » و « جاسر » معاً: فكرة رائعة!!

هند : إذن بما أننا قد اتفقنا يكون لكل واحد منا مهمة.. فسأذهب أنا لنشر الإعلان في الجرائد الثلاث.. ويذهب « جاسر » إلى هيئة المرور للسؤال عن صاحب السيارة، وعلى « ياسر » أن يتوجه إلى المعادي ويحاول سؤال بعض الجيران عن صاحب القصر..

وافق الجميع على الفكرة، فأسرع كل منهم إلى تنفيذ مهمته على أن يلتقوا في الساعة الثانية تماماً على مائدة الغداء..

وهكذا اتجهت « هند » إلى شارع الصحافة، ولم تكن مهمتها عسيرة بالنسبة لنشر الإعلان، ولكن كان عليها أن تبدي كثيراً من الأعذار وتستعمل كل لباقتها حتى يمكن نشر الإعلان في اليوم التالي مباشرة..

وكذلك « جاسر »، استطاع أن يقضي مهمته بسهولة.. فقد اتجه فوراً إلى مقر مرور الجيزة وطلب مقابلة أحد المسؤولين، وشرح له المسألة كلها ببساطة، وأظهر له أهمية أن يعرف صاحب السيارة.. وفي الحال أمر ضابط المرور بطلب الدوسيهات وأخرج الأسم.. وكانت مفاجأة « لجاسر » فهو اسم مهندس صديق لوالده منذ

الطفولة، هو المهندس « صلاح محمود »، ووالده يعرفه معرفة وثيقة إذ تزاملا منذ الدراسة الابتدائية حتى تخرجا معاً في كلية الهندسة..

وأسرع « جاسر » بالعودة، وأول ما خطر لذهنه هو الاتصال بمنزل المهندس « صلاح محمود » وردت عليه زوجته.. كانت هادئة مطمئنة تماماً مثل والدته، وكانت قصتها لا تختلف أبداً عن قصتهم.. ولم يحاول « جاسر » أن يثير قلقها.. فشكرها.. وذهب إلى حجرته ينتظر شقيقيه، وقد بدأ يشعر ببعض الاطمئنان على والده بعد أن عرف أن معه في الورطة نفسها صديقاً عزيزاً عليه.

وصلت « هند ».. وأخذت تناقش ما توصل إليه « جاسر » وطال بهما الأمر حتى تجاوزت الساعة الثانية.. وبدأ القلق يعتريهما لغياب « ياسر ».. وإذا به يظهر أخيراً.. وهو يجر أقدامه جراً وقد ظهر عليه التعب الشديد.

أسرعت إليه « هند »: هيه.. هل توصلت إلى نتيجة؟

قال « ياسر » بإعياء: انتظري.. اتركيني حتى أستريح قليلاً..

وألحت عليه « هند »: هل عرفت اسم صاحب القصر؟

هز « ياسر » رأسه نفياً وقال: لا.. للأسف الشديد.. لم أستطع أن أعرفه!

جاسر: غير معقول! قصر كبير مثل هذا.. وفي ضاحية صغيرة مثل المعادي يكاد يعرف كل واحد فيها جيرانه جميعاً.. ولا يعرف أحد من هو صاحب هذا المنزل الغريب؟

ياسر : ليس في الأمر غرابة.. سأقص عليكما القصة كلها.. بدأت رحلتي إلى البيت نفسه وصلت إليه، وطفت حوله.. لم يكن هناك أي شيء قد تغير عما تركناه غير أن الشرطة قد أغلقت الباب فلم أتمكن من الدخول.. وبحثت في غرفة البواب عسى أن أجده.. فلم أجد له أثراً.. عدت أدراجي إلى أقرب شارع.. كاد يخلو من أي محل عام.. فكله من المباني الحديثة وسكانه جميعاً سكان جدد على ضاحية المعادي.. وانتظرت حتى رأيت بائع جرائد صغيراً سألته فأخبرني أنه لا يعرف شيئاً.. ثم شربت عدة زجاجات من « الكوكا كولا » في محلات مختلفة، وسألت أصحابها ولكن الرد كان مثل الأول تماماً.. وآخر رجل سألته، سألني في شك عن سبب تحرياتي، فأخبرته أنني أكتب موضوعاً لمجلة المدرسة عن الأماكن الهامة في المعادي، فاطمأن لي وقال: « إذا أردت أن تعرف كل شيء عن المعادي حقاً فاسأل الشيخ « عطية ».. إنه أقدم مواطن في هذه المنطقة.. وأشار إلى الشيخ « عطية ».. كان شيخاً عجوزاً يجلس أمام كشك يكاد يكون خالياً إلا من بعض علب

« البسكويت »، فذهبت إليه وعرفته بنفسي، وبالغرض الذي جئت من أجله.

صاحت « هند » في لهفة: هيه.. وماذا قال؟

أجاب « ياسر » بهدوء: لا شيء! فهو لا يعرف شيئاً!

جاسر: غريبة.. لا يعرف شيئاً عن القصر؟

ياسر : لا.. إنه يعرف القصر.. وقد عاصر بناءه.. بل اشترك فيه.. وكان يعرف أول من بناه منذ سبعين سنة، قال إنه كان « خواجا أثارات » يقصد أحد علماء الآثار الأجانب، وقال إن البنائين كانوا يعتقدون أنه مجنون، فقد بنى القصر وهو متأثر تماماً بالآثار الفرعونية القديمة..

هند : فعلاً.. فعلاً.. لعلكما لاحظتما معي أن الفن المعماري لهذا القصر هو الطراز الفرعوني.

ياسر : هذا صحيح.. ولكن صاحب القصر مات منذ خمسين سنة ولم يكن له من وارث إلا ولد واحد في الخارج، ولم يأت إلى « مصر » ولا مرة.. وأنه بعد قليل باعه إلى شخص آخر.. ثم انتقل القصر من صاحب إلى صاحب.. ومنذ عشرين سنة لم يعد أحد يعرف صاحبه على وجه التحديد فإن أحداً لم يحضر ليسكن في القصر منذ ذلك الوقت.. ولا يعرف أحد من هو صاحب القصر؟

جاسر: لا أكاد أصدق.. إذن من كان يرعى القصر؟!

لقد كانت الحديقة تبدو وكأنها ليست مهجورة تماما!

وقف « ياسر » وقال: هنا المفاجأة.. هناك شخص واحد فقط هو الذي يعرف الإجابة عن اسئلتنا.. رجل كان يعيش مبتعداً عن الناس.. لا يختلط بهم.. ويقوم على شؤون القصر والحديقة.. صامتاً وكأنه أبكم.. هذا الرجل هو..

وانحنى « ياسر » على « هند » وقال بهدوء: العجوز الذي هرب منا بالأمس.. الوحيد الذي يعرف كل شيء عن القصر.. وصاحب القصر!

* * *



مغامرة « عجيبة » ..

خيم الصمت على الثلاثة، وغرق كل منهم في أفكاره.. كانت المشكلة أن الرجل الهارب كان في أيديهم، ولكنه تمكن من الفرار.. الرجل الوحيد الذي يمكن أن يكون عالماً بسر اختفاء سبعة من الرجال كان معهم وتحت أنظارهم، ولكنهم بإهمال تركوه يهرب.. ما الذي يجب أن يفعلوه الآن؟ كانت الإجابة لا تحتمل المناقشة، الجواب هو أن يجدوا الرجل..

أخيراً نطقت « هند » وقالت وهي تربت على ظهر « عجيبة »: يبدو يا « جاسر » أنه ليست هناك طريقة للعثور على الرجل إلا الاعتماد على « عجيبة »، وهي فكرتك التي اقترحتها سابقاً.. وهي طريقة غير مضمونة تماماً.. فقد لا نجد للرجل أثراً في الحجرة، وقد تجد أثراً لشخص آخر.. ولكننا في النهاية لا نملك إلا أن نجرب هذه الوسيلة..

ياسر : ويجب أن نبدأ فوراً.. فالمسافة بعيدة، وعلينا أن نعود قبل الظلام وقبل أن تعود والدتنا..

هند : هناك مسألة يجب أن نناقشها قبل أن نبدأ، لنفرض أننا عثرنا على الرجل، ما الذي يمكننا أن نفعله؟ ليس في وسعنا أن نقبض عليه فنحن لا نملك هذه السلطة، وأخشى إذا عرف أننا نبحث عنه أن يواصل الهرب، أو يختفي نهائياً لأني أعتقد أنه بلا شك أحد أفراد العصابة التي خطفت المدعوين السبعة.

ياسر : هل تعتقد أنها عصابة حقيقية؟

جاسر: طبعاً.. وهل تعتقد أنت أن رجلاً واحداً يستطيع أن يخطف سبعة رجال؟ والرجل العجوز ــ إذا لم يكن فرداً في العصابة ــ لماذا صرخ عندما ذكرنا اسم الشرطة؟ ولماذا هرب عندما وصلت؟

هند : معك حق يا « جاسر ».. ومن رأيي أننا اذا تمكنا من العثور عليه لا نجعله يشعر بنا، ونراقبه من بعيد!

ياسر : رأي صائب.. اتفقنا، هيا نستعد قبل أن يمضي الوقت..

أحضرت « هند » طوقاً وسلسلة طويلة وضعتها في رقبة « عجيبة » ففهم من هذه الحركة أن أمامه مهمة عليه أن ينجزها فهز ذيله

سعيداً.. ولبس الثلاثة أحذية خفيفة في أقدامهم استعداداً لأن يطول بهم السير في مهمتهم، وخرجوا إلى الطريق.

انقضت ساعة كاملة حتى وصلوا إلى القصر، وكانت الصعوبة أن الشرطة قد أغلقت كل أبوابه، ولكن بوابة الحديقة كانت منخفضة فلم يجدوا صعوبة في تسلقها.. ومن حسن الحظ أن حجرة البواب القريبة كانت مغلقة بغير أقفال، فمجرد دفع الباب فتح على مصراعيه ودخل الثلاثة يتقدمهم « عجيبة ».

كانت الغرفة خالية تقريباً إلّا من فراش بسيط ممزق، لا يزيد عن حشية قديمة على الأرض.. ولم تكن هناك أية ملابس أو بقايا خاصة، وكاد اليأس يدب في قلوبهم إلى أن مد « جاسر » يده فجذب منديلاً مهلهلاً من أسفل الحشية، ثم قال: من الواضح أن هذه الحجرة لم يستعملها غير الرجل العجوز وحده، فليس فيها أية أمتعة تخص أي إنسان وبالتالي.. فهذا المنديل منديله، هيا يا « هند ».. تفاهمي مع « عجيبة »..

أمسكت « هند » بالمنديل في يدها، وركعت على ركبتيها أمام « عجيبة » وربتت على ظهره، ثم نظرت في عينيه وهي تقرب المنديل من أنفه، وقالت: « عجيبة ».. هذا المنديل يخص رجلاً نريد أن نعرف طريقه، يجب أن تقودنا إليه.. سنسير وراءك.. وقربت المنديل إلى أنفه أكثر، وقالت: فهمت يا « عجيبة »؟ يجب أن تقودنا إليه!

رفع « عجيبة » رأسه وتشمم الهواء ودار حول الفراش الموضوع على الأرض ونبح نباحاً عالياً، ثم اقترب من المنديل مرة أخرى وهز ذيله، وضحكت « هند » وقالت: لقد فهم..

تشمم « عجيبة » الهواء ثم انطلق خارجاً من الحجرة، وقفز فوق سور الباب.. واندفع يجري إلى الصحراء..

قفز الثلاثة وراءه.. وصاحت « هند » تناديه: « عجيبة ».. « عجيبة ».. انتظر.. يجب أن تسير بهدوء!!

انتظر « عجيبة » حتى أدركه المغامرون.. فمالت عليه « هند » هامسة: على مهلك! بهدوء يا « عجيبة ».. نحن سنسير معك!

ثم أمسكت السلسلة بيدها وقالت « لياسر »: إليك السلسلة أيها البطل.. فأنت الأقوى، تستطيع أن تجري وراءه، كما يمكنك أن تكبح جماحه إذا أسرع!

سار « عجيبة » مسرعاً و « ياسر » معه ممسكاً بالسلسلة، و « جاسر » و « هند » يتبعانه بكل سرعة يستطيعانها.

وبدأ « عجيبة » يقطع الطريق الجبلي مبتعداً عن المعادي حتى تركها كلها، ثم تعدى أيضاً منطقة ثكنات المعادي، وبدأ يبتعد تماماً عن العمران.. ويسير في طرق غير ممهدة رملية وصخرية حتى شكّت « هند » في أن يكونوا قد ضلوا الطريق..

وفجأة وبعد أن قام بدورة هائلة في الجبل أخذ يقودهم مرة أخرى إلى شريط « المترو » ثم يعبره.. ويتوغل مرة أخرى وسط المزارع. وأوقفته « هند ».. وقربت المنديل من أنفه أكثر من مرة.. فأطلق نباحاً كأنما يعرفها أنه يعرف طريقه، واندفع هذه المرة منطلقاً بكل قوته، حتى أوشك « ياسر » أن يسقط وهو يجذبه..

وقال « جاسر » وهو ينظر أمامهم إلى بعيد: انظري.. أليس هذا سجن طرة؟

هند : نعم! إنه هو فعلاً.. لقد سرنا مسافة طويلة.. ترى هل يكون الرجل مسجوناً في السجن؟!

ولكن « عجيبة » لم يتوقف، بل تجاوز السور والسجن كله، وارتفع نباحه فجأة وهو يجذب السلسلة في اتجاه مجموعة من المنازل المهدمة.. البعيدة عن العمران تماماً.

أوقفت « هند » « عجيبة » وأخذت تربت على ظهره وتهمس في أذنه حتى هدأ تماماً، وبدأ يسير في صمت وهدوء، وهم يتبعونه على أطراف أصابعهم التي أرهقها السير الطويل..

وصلوا إلى المنطقة المهدمة.. إنها بعض العشش من الصفيح، وحجرة وحيدة في منزل مهدم ليس بها إلا نافذة واحدة مستديرة، عليها قطعة ممزقة من القماش.. ورفع « عجيبة » رأسه تجاه الغرفة وأطلق نباحاً طويلاً، وأسرعت « هند » تسكته..

همس « جاسر »: أرجو أن نكون قد وصلنا.. ولكن شكلنا هنا غريب على المنطقة، لو رآنا أحد للاحظنا فوراً وشك في أمرنا، يجب أن نبتعد.. وسأتسلل أنا وحدي لأنظر بين هذه الخرابات لعل الرجل فيها..

جرت « هند » و « ياسر » و « عجيبة » وهو لا يريد السير بعيداً، وتسلل « جاسر » مقترباً من النافذة ومرت لحظات قصيرة، وعندما عاد « جاسر » كان منفعلاً يكاد يصرخ: لقد نجحنا!! إنه الرجل نفسه.. وجدته جالساً يشرب الشاي وحده في هذه الغرفة.. عندما نظرت من النافذة، كان جالساً أمامي مباشرة.. رائع يا « عجيبة ».. رائع.. رائع..

احتضنت « هند » « عجيبة » حتى لا يطلق نباحاً يلفت النظر إلى وجودهم، وأسرعوا مبتعدين، وقد أنستهم فرحة العثور على الرجل كل العناء الذي لاقوه في الجري وراء « عجيبة ». وتذكروا أن الوقت قد مضى بسرعة وأن المساء يكاد يخيم عليهم.. فأسرعوا بالعودة على أن يلتقوا بعد العشاء في حجرة « هند » ليناقشوا ما يجب أن يفعلوه بعد ذلك.

وصلوا إلى البيت في وقت مناسب تماماً.. فما كادوا ينظفون أنفسهم ويرتدون ملابس نظيفة، وينزلون إلى قاعة الطعام حتى دخلت والدتهم.. واطمأنت عندما وجدتهم جميعاً بحالة جيدة وسألوها عن شقيقتها، فأبدت أسفها لأن حالتها سيئة، وأنها ستضطر إلى

ملازمتها عدة أيام.. وقالت: لقد حضرت إلى البيت لأطمئن عليكم.. وسأذهب إليها في الصباح الباكر، وقد اضطر إلى المبيت عندها، عليكم أن ترعوا أنفسكم جيداً، وإذا احتجتم إلى أي طلب اطلبوني بالتليفون.

في صباح اليوم التالي، اجتمع الثلاثة في قاعة الطعام.. وكانت والدتهم قد ذهبت إلى شقيقتها مبكرة.. كان « جاسر » يبدو عليه الانشغال العميق. وقال: لقد بدأت أقلق على أبي.. يجب أن نتصرف بسرعة أكثر من ذلك!

هند : لقد غلبنا النوم أمس.. ولكنه أفادنا في أن نستيقظ في حالة جيدة.. والآن علينا مهمتان عاجلتان.. الأولى أن ننتظر نتيجة الإعلان.. فهل سيتصل بنا المدعو الثامن؟ والثانية أن نراقب البواب العجوز فقد نستطيع الوصول إلى نتيجة..

ياسر : ولكن هل ننتظر جميعاً المكالمة التليفونية التي قد تأتي وقد لا تأتي؟ سنضيع الوقت بهذه الطريقة.. إذا كان من المهم انتظارها فلتنتظر « هند » المكالمة، وأذهب أنا لمراقبة الرجل..

هند : لقد أوشكت أن اقترح عليكم ذلك، على أن يراقب « جاسر » القصر.. فنكون بذلك قد قسمنا أنفسنا إلى فريق يعمل في ثلاث جبهات..

جاسر: عظيم.. سنبدأ فوراً.. الساعة السابعة الآن، سنلتقي في الساعة الثانية تماماً على مائدة الغداء..

وأسرع « جاسر » و « ياسر » يخرجان إلى مهمتهما، وجلست « هند » ساكنة بجوار جهاز التليفون في انتظار نتيجة الإعلان الذي نشرته في الصحف، والذي وجدته منشوراً في الجرائد الثلاث، واطمأنت إلى أنه ربما يكون الآن تحت أنظار الرجل الثامن الذي لم يلب الدعوة..

مضت الدقائق ثقيلة على « هند » حتى كأنها ساعات طويلة، ومدت يدها أكثر من مرة إلى جهاز التليفون تطمئن على أن به حرارة وأنه ليس به أي عطل يمنع مهمتها.. ومن حسن حظها أنه لم يمر بها وقت طويل حتى ارتفع رنين التليفون.. وأسرعت قبل أن يهدأ أول رنين ترفع السماعة في لهفة: آلو.. آلو.. من؟ منزل « ياسر ».. نعم.. نعم.. هو.. هو.. هل أنت..؟ آه..

وشعرت فجأة أنها تكاد تخسر كل شيء، وأن صوتها سيجعل المتحدث يقطع المكالمة فصمتت.. وبدأت تتحدث في هدوء.. سألها صوت عميق: هل هذا منزل الأستاذ « ياسر » صاحب الإعلان المنشور في جريدة الأهرام اليوم؟!

هند : نعم! وأنا شقيقته، وأجلس في انتظار هذه المكالمة.. هل أستطيع أن أتشرف بمعرفة اسم المتحدث؟

أجاب: أنا الدكتور « عبد الحميد محمد ».. هل « ياسر » هذا هو صاحب الدعوة؟

هند : الدكتور « عبد الحميد محمد » الجراح المشهور؟

الدكتور: نعم! أنا هو!

هند : إذن الحمد لله أنك لم تذهب أنت أيضاً! سأشرح لك المسألة يا سيدي.. أنا ابنة المهندس « مختار الديب » وقد وصلته دعوة مثل دعوتك تماماً..

وقصت « هند » عليه القصة كاملة!

قال الدكتور: تقولين المهندس « مختار الديب »؟ إنني أعرفه.. أعرف والدك، لقد كنا زملاء في الدراسة الثانوية.. وأيضاً المهندس « صلاح محمود ».. اسمعي يا ابنتي هل أستطيع أن أراك الآن؟ إنها الساعة الثامنة وسأمر عليك قبل أن أذهب إلى المستشفى فمن حسن الحظ أن مواعيدي اليوم تبدأ في العاشرة!

وأخبرت « هند » الطبيب الكبير بالعنوان وانتظرت حضوره.. بعد قليل وصل الدكتور « عبد الحميد محمد »، وأمسك يد « هند » يحييها بحرارة وقال: طوال الطريق وأنا أفكر في هذه القصة الغريبة.. إنني لم أستطع أن أذهب إلى الحفل في الموعد المحدد لأنني كنت مرتبطاً بإجراء عملية هامة في الوقت نفسه.. ولكن المدهش أنني

تذكرت والدك جيداً، وكذلك المهندس « صلاح محمود » لقد كنا في المدرسة الثانوية نكون مجموعة كبيرة نتنافس على الأولوية، ولكنا كنا أصدقاء.. وقد تفرقت بنا الطرق بعد ذلك إذ ذهب كل منا إلى الكلية التي يرغبها، ولكننا كنا نتقابل أحياناً وبالصدفة..

هند : هل تتذكر أسماء أخرى كانت معكم في الدراسة؟

الدكتور: الحقيقة أنني لا أكاد أذكر الأسماء كاملة الآن، ولكن أتذكر على وجه الخصوص زميلاً لنا كان مولعاً بأن يعمل التدريس، وكان يترنم دائماً ببيت الشعر الذي يقول « كاد المعلم أن يكون رسولا ».. وهذا ما يجعلني أذكر اسمه.. فقد كنا نسميه المعلم « جابر بن محمود ».. ولا أدري هل حقق أمنيته وأصبح مدرساً أو لا؟

شكرت « هند » الدكتور « عبد الحميد محمد ».. الذي حياها وطلب منها أن تتصل به لتطمئنه على عودة والدها.. وأن تستعين به في أي طلب تريده!

مضى الدكتور، ومرة أخرى عادت « هند » تجلس وحيدة، كانت الساعة لا تتجاوز العاشرة، وكان أمامها وقت طويل قبل أن يعود شقيقاها.. وأخذت تفكر، ثم أحضرت ورقة وقلماً وأخذت تضع بعض النقاط.. تنظر إليها وتعيد الكتابة، وفجأة لمعت في رأسها فكرة.. أسرعت تحضر دليل التليفون وتبحث عن اسم « جابر

محمود ».. وجدت الكثير من الناس لهم الاسم نفسه.. « جابر محمود »، بقال ـــ « جابر محمود »، ترزي ـــ « جابر محمود »، مهندس ـــ « جابر محمود »، منزل.. وتوقفت عند هذا الاسم.. هل يمكن أن يكون هو؟ هل تتحقق ظنونها؟ هل تكون نظريتها صائبة؟

وبيد مرتعدة طلبت الرقم ٣٥٥٠٥٧٥..

وأجابها صوت رقيق، وسألت « هند » بصوت مرتعش: هل هذا هو منزل الأستاذ « جابر محمود » المدرس؟

ردت عليها سيدة بصوت ملهوف: نعم.. هو.. أي خدمة؟

هند : هل هو موجود؟

السيدة: لا.. إنه غير موجود منذ يومين.. من الذي يريده؟

هند : منذ يومين؟ إنني « هند » ابنة صديقه المهندس « مختار الديب ».. هل وصلته دعوة هو الآخر؟

أجابتها السيدة في صوت حزين وكأنها تبكي: نعم، لقد وصلته دعوة.. ذهب إليها ولم يعد حتى الآن.. وقد اتصل بي وأخبرني أنه سيتغيب عدة أيام لمسألة هامة.. ولكني لا أصدق ذلك.. فهو لا يغيب عن المنزل أبداً ولا يتأخر عن عمله عدة أيام لأي سبب من الأسباب.

شكرتها « هند » وأخبرتها بقصة والدها.. ووعدتها أن تتصل

بها في وقت آخر.. وتركت التليفون وكتبت كلمة أخرى على الورق.. وهزت رأسها وهمست: يبدو أن ظنوني ستتحقق!!

* * *



الأحداث تتوالى

في الساعة الثانية تماماً.. التقى « ياسر » و « جاسر » أمام الباب.. كانت « هند » تنتظرهما في الحديقة وفي عينيها الأخبار الهامة التي توصلت إليها.. وجلس الثلاثة لا يكاد واحد منهم يتناول طعامه.. وكان على كل واحد أن يقدم تقريره.. قال « جاسر »: سأتحدث أنا أولاً.. لأنه لا جديد عندي، لقد ظللت طوال الساعات الماضية أراقب القصر.. وأدور حوله.. ولم يحدث به أي جديد، لم يقترب منه أحد، ولم يخرج منه أحد، ولم تفتح فيه نافذة، لا شيء على الإطلاق..

قال « ياسر »: أما أنا فقد وصلت إلى الرجل في وقت مناسب بعد أن سرت على قدمي مسافة طويلة من محطة « طرة » حتى منطقة البيوت المهدمة، وعندما نظرت من نافذته كان يتململ في فراشه استعداداً لأن يستيقظ فأسرعت أبحث عن مكان أختفي فيه حتى وجدت مخبأ وراء جدار.. وكنت قد أعددت عدتي فأخذت معي ورقاً وألواناً، وتظاهرت

بأنني أرسم مناظر أطلال المنازل القديمة، ولكنني كنت أتسلل بين لحظة وأخرى وأنظر إلى الرجل. ويبدو أنه قد اختار هذا المكان المهجور تماماً مخبأ حصيناً له، فأنني لم أر أي إنسان يقطن في هذه المنطقة أو حتى يعبرها ذهاباً أو إياباً، ولعل الأهالي يخشون السير فيها لشكلها الكئيب، وقد رأيته وهو يعد الشاي لنفسه ويتناول إفطاره.. ثم جلس ساكناً في حجرته حتى اقتربت الساعة من الثانية عشرة، ففتح باب الحجرة واختفيت بدوري عن نظره تماماً، ووجدته ينظر حوله جيداً، ويخطو خطوة ثم ينظر مرة أخرى، وعندما اطمأن إلى أنه غير مراقب، بدأ يتحرك بسرعة غريبة على رجل في مثل عمره، وتبعته عن بعد، فإذا به يعبر شريط المترو مسرعاً، ثم اتجه إلى محل كبير للبقالة.. واشترى كمية كبيرة من الخبز والمعلبات، كمية ملأت حقيبتين كبيرتين من البلاستيك، سار بهما متعثراً، وسرت وراءه وقد توقعت أن يذهب بالطعام إلى مكان آخر ولكنه للأسف عاد إلى بيته، وراقبته من النافذة فوجدته يضع الحقيبتين بجوار الحائط ثم يفرد عليهما قطعة من القماش النظيف ثم يتناول غداءه ورقد في فراشه ونام.. انتظرت قليلاً، فلم يتحرك من نومه، وكان موعدي معكما قد اقترب.. فتسللت بدون أن يراني وعدت إلى هنا!

أمسكت « هند » بطرف الحديث، فقصت عليهما كل ما حدث لها في هذا اليوم.. واختتمت حديثها قائلة: علينا أن نضع كل النقاط التي توصلنا إليها، بعضها بجوار بعض لنصل إلى بعض الحقيقة، ولنستعرض الأحداث منذ البداية.

ظل كل واحد منهم يفكر وحده.. حتى قال « جاسر »: استنتاجي الخاص، أنه ربما كانت هناك عصابة أجنبية تحاول اختطاف بعض الخبرات من البلد، ولكن النقطة التي أحب التأكيد عليها أنهم قد وقعوا تحت تأثير المخدر، ثم نقلوا إلى مكان آخر.. وبما أنه ليس من السهل أن تحمل سبعة رجال وتمضي بهم في الطرق العامة فلا بد أن يكون هناك مخبأ في القصر أو قريب منه..

هند : معقول! ويبدو أن المخدر من نوع خفيف التأثير، لأنهم تحدثوا في التليفون قبل أن نعود إلى البيت، وهذا معناه أنهم نقلوا إلى مخبأ قريب وبه تليفون..

قفز « ياسر » واقفاً وقال: إذن لقد توصلنا إلى أن هناك عصابة ما نجحت في اختطاف سبعة من الرجال بينهم أبي، وأنها نقلتهم تحت تأثير المخدر إلى مكان مجهول قريب من القصر.. وأن الطريق الوحيد إليهم هو الرجل العجوز.. وأن الحل الواجب الآن هو مراقبة هذا الرجل ليلاً ونهاراً..

هند : هذا صحيح، وخصوصاً بعد أن اشترى هذه الكمية الكبيرة من الطعام، أعتقد أنها ليست له، وإنما هو مكلف بتوصيلها إلى مكان ما.. ربما يكون هو المخبأ الذي به المختطفون السبعة!!

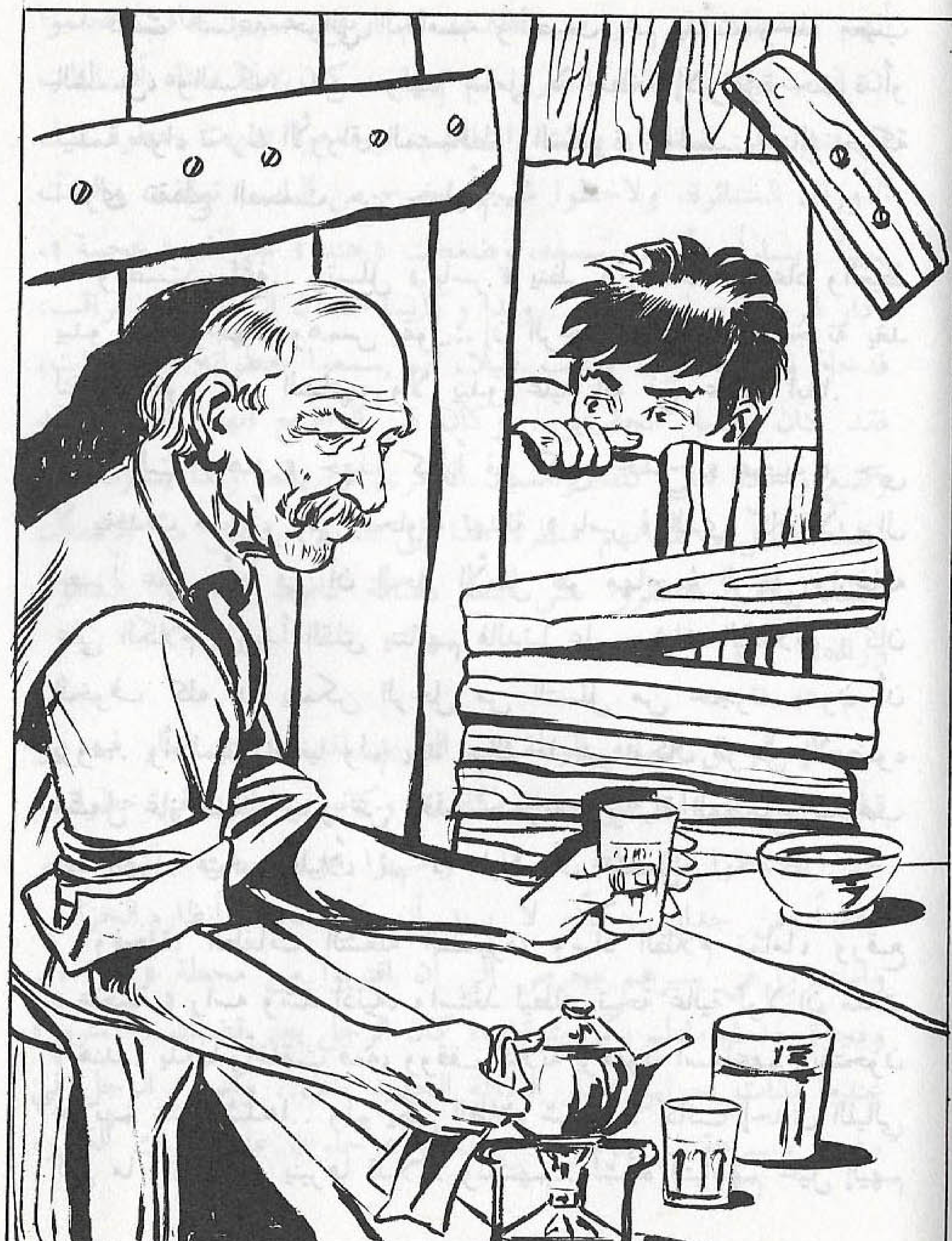
ياسر : لن أنتظر أكثر من ذلك.. سأهاجم الرجل وأرغمه على الكلام!

رد « جاسر » بهدوء: ربما رفض الكلام، وصرخ واستعان بالشرطة وهم لا يصدقون حكاية الاختطاف.. سنقع نحن في مشكلة، وسيتمكن هو من إنذار العصابة..

هند : من رأيي أننا يجب أن نراقبه بدون أن يشعر بنا ومن حسن الحظ أن ماما تحدثت في التليفون واطمأنت علينا، وقالت إنها ستضطر للمبيت عند خالتي وهذا يعطينا وقتاً كافياً لمراقبته بدون أن تقلق علينا، فرأيي الخاص أن الرجل ينتظر حلول الظلام ليتجه بالطعام إلى العصابة!

ياسر : كلام معقول، والآن لا داعي لإضاعة الوقت، هيا نتجه إليه لنراقبه.

جاسر: يحسن أن نأخذ معنا بعض الاستعدادات لمواجهة أي احتمال ممكن..



أسرعوا إلى غرفهم، ارتدوا ملابسهم الخاصة بالرحلات والأحذية الخفيفة، ووضعوا في جيوبهم مصابيحهم الصغيرة.. ووضع « ياسر » في جيبه بعض قطع الشيكولاته والبسكويت.. وقدمت « هند » طعاماً كافياً « لعجيبة »، وأسرعوا إلى الطريق..

قالت « هند »: لن نضيع الوقت في المواصلات، لقد أحضرت من حصالتي مبلغاً كافياً من النقود.. هيا نستقل « تاكسي ».. وبعد محاولات مع سائق « التاكسي » رضي أن يصطحبوا « عجيبة » معهم، وركبوا وهم يستحثون السائق على الإسراع حتى وصلوا إلى قرب سجن « طرة »، ولم يزد الوقت عن نصف ساعة، فدفعوا أجر « التاكسي » وغادروه على عجل.

داروا دورة كبيرة حتى ابتعدوا عن سجن « طرة »، ثم ابتعدوا عن الطريق الممهد في دورة أخرى طويلة، وأخيراً وصلوا إلى المنطقة المهدمة من الخلف حتى لا يفاجأوا بمقابلة الرجل. وأسرعت « هند » و « جاسر » و « عجيبة » للاختباء خلف سور محطم، وأخذ « ياسر » يتسلل إلى حجرة الرجل ونظر من النافذة جيداً، ثم استدار وعاد إليهم مسرعاً في نظراته بعض الاطمئنان.. لأن الرجل ما يزال في رقدته لم يغيرها، وكانت حقائب الطعام في مكانها أيضاً ولم تتزحزح واطمأنوا بذلك إلى أن الرجل لم يغادر مكانه بعد..

كانت الساعة حوالي الخامسة والنصف، ثم بدأت رحلة مغيب الشمس، والسكون من حولهم شامل لا يقطعه إلا قفزة حشرة أو نسمة هواء تحرك الأوراق المتساقطة والمبعثرة.. وليست هناك حركة أخرى تقطع الصمت من حولهم..

ومضت ساعة.. وتسلل « ياسر » ينظر من النافذة، وعاد والغيظ يبدو على وجهه، وهمس يقول: إن الرجل يجلس في حجرته يعد لنفسه كوباً من الشاي، ولا يبدو عليه أنه في عجلة أبداً.

وبذلت « هند » جهداً كبيراً في كبح جماح « عجيبة » حتى لا يحدث صوتاً، وفي محاولة تهدئة « ياسر » الذي كان لا يزال مصراً على رأيه في أن الحل الأمثل هو مهاجمة الرجل وإرغامه على الكلام.. وبدأ القلق ينتابهم فالدنيا على وشك الإظلام، وكان الخوف كله أن يتمكن الرجل من التسلل من حجرته بدون أن يروه.. وأظلمت الدنيا ولم يعد هناك ما ينير مكان الرجل إلا ضوء مشعل غاز صغير يبدو من نافذة حجرته.. وفتيلة المصباح يتلاعب بها الهواء فتخبو قليلاً، ثم لا تلبث أن تشتعل..

وفجأة، انطفأت الشعلة الصغيرة، وساد الظلام تماماً، ورفع « عجيبة » رأسه وشد أذنيه، واستعد ليطلق نبحة عالية لولا ان مدت « هند » يديها وأغلقت فمه، ووقف الثلاثة يرهفون أسماعهم ويفتحون عيونهم على أشدها.. ولم يكن الظلام شديداً.. كانت إحدى الليالي التي ما زال القمر ينيرها قليلاً.. ولكنهم.. لشدة انتباههم خيل إليهم

أنهم يسقطون في بئر من الظلام، ثم ارتفع صرير خافت فعلموا أن الباب يفتح.. اشتد الصرير ثم توقف، كان هذا معناه أن الباب قد فتح على اتساعه، واشتد انتباههم، وسمعوا صوت خطوة فوق الأوراق المتناثرة، ولاحظوا شبحاً يخرج من الباب، توقف، والتفت يميناً ويساراً، وأرهف سمعه، وضغطت « هند » على فم « عجيبة »، ودار الرجل حول حجرته.. وبدا وكأنما اطمأن إلى أنه غير مراقب، فدخل إلى الحجرة، وغاب قليلاً، ثم سمعوا خطواته وقد ثقلت، فقد كان يحمل الحقيبتين.. وكان من الواضح أنهما ثقيلتان فقد وضع واحدة على كتفه وأمسك الأخرى في يده، وبدأ يسير تحت حمله الثقيل، وطمأنهم منظره هذا إلى أنه لن يتمكن من الالتفات خلفه ليراهم، فانتظروا حتى ابتعد مسافة كافية، ثم بدأوا يتسللون وراءه..

سار الرجل مسافة طويلة في الطريق نفسه الذي سار فيه من قبل، وساروا وراءه على مسافة كافية.. وكانوا يتباطئون في خطواتهم حتى يحتفظوا بالمسافة نفسها.. واقتربوا من السجن.. كان يسير مبتعداً عن جداره وكأنه لا يريد أن يقع تحت أنظار الحراس، واستمروا في سيرهم بحرص إلى أن اقتربوا من محطة « طرة ».. وفجأة حدث ما لم يكن يتوقعوه، كان الرجل يعبر قضبان « المترو » عندما بدأت أجراس إنذار السكة الحديد تدق.. وأسرع الرجل في مشيته وبسرعة لم يتوقعوها. « فمترو » حلوان على وشك العبور،

وكان ضوء كشافاته قد بدأ يغمر المكان كله. ولم يكن أمامهم من وسيلة إلا الاختفاء خلف مبنى المحطة حتى لا ينظر الرجل وراءه فيراهم.. ومن سوء الحظ توقف القطار في المحطة.. خمس دقائق مرت ثقيلة وكأنها خمسة قرون.. ثم بدأ القطار يتحرك.. ومضى في طريقه.. وبعد أن تنهدوا في راحة أسرعوا يعبرون شريط السكة الحديد.. ولكن.. كانت المفاجأة الكبرى.. لقد اختفى الرجل.. اختفى تماماً.. ولم يعثروا له على أثر!

وقفوا مكانهم مذهولين.. كيف حدث هذا، وبهذه السرعة؟! كان أول من أفاق من الدهشة هو « ياسر » فقال: يجب أن نفكر بسرعة، لا داعي لهذه الوقفة..

جاسر: نتبع الرجل من الطريق الذي سرنا فيه. إنه في طريقه إلى القصر أو مكان قريب منه على الأقل.. وأقترح أن نسرع وأن نتفرق.. وبما أن « ياسر » أسرعنا، عليه أن يتجه إلى القصر مباشرة، وسأسرع أنا أيضاً لأصل إلى أقرب مكان مسكون من القصر حيث كانت تقف عربتنا يوم الحادث، و « هند » يحميها « عجيبة » تحاول البحث في هذه الطرقات وهي في اتجاه القصر أيضاً، وسنتقابل أمام بابه بعد ساعة كاملة، ويجب ألا يتخلف أي واحد منا مهما كانت الظروف!!

لم ينتظر « جاسر » الرد فأسرع في طريقه.. وجرى « ياسر » بكل سرعته في الأرض الصحراوية متجهاً إلى القصر، وأسرعت أيضاً « هند » ومعها « عجيبة » تتجول في الشوارع المحيطة.

جرى « ياسر » بكل قوته، ووصل إلى القصر في ربع ساعة، وتوقف قليلاً ليلتقط أنفاسه.. ثم احتمى بسور القصر وبدأ يدور حوله.. وبعد انقضاء نصف ساعة بدأ القلق ينتابه، فلا بد أن يكون الرجل قد وصل الآن.. كما أن موعده مع شقيقيه بعد ثلث ساعة.. ومرت عشر دقائق أخرى ثقيلة، ولم يبق إلا عشر دقائق.. وفجأة التقطت أذناه صوت حركة ضعيفة قريبة، وأخذ يتسلل حول السور محاذراً، وخلف المنزل توقف.. كان الرجل يقف ملاصقاً للجدار الخلفي للمنزل، يتلفت حوله ثم ضغط على جزء من الجدار فإذا به باب يتحرك..

دخل وجر الحقيبتين وأغلق الباب وراءه.. وعندما وصل « ياسر » إلى الباب، فتح فمه من الدهشة.. لم يكن يبدو أبداً أن أمامه باباً، كان جزءاً من الحائط، وعندما تحسسه لاحظ أنه خشبي ولكنه مدهون بدقة بلون الحائط حتى يبدو كجزء منه، وحانت نظرة من « ياسر » إلى ساعته.. فوجد أن الوقت قد انتهى وأن عليه أن يقابل « جاسر » و « هند » فوراً.. وخشي أن يصلا ويحدثا صوتاً يثير أية شبهة لذلك جازف وعاد إلى باب القصر مسرعاً.

ولم تمض غير دقيقة حتى وصلت « هند » و « عجيبة » و « جاسر » في أثرها وعلى وجهه خيبة الأمل.. ولكن عينا « ياسر » كانتا تلمعان بالأخبار المثيرة، فأشار أن يتبعاه بسرعة وفي صمت.

لم يكن قد مضى من الوقت أكثر من خمس دقائق منذ شاهد « ياسر » الرجل، وقبل أن يصلوا إلى ظهر القصر.. فوجئوا بالباب السري يفتح وبالرجل يخرج منه ويغلقه وراءه.. ثم ينطلق بأقصى سرعة مخترقاً طريق الصحراء..

في اللحظة الأخيرة استطاعت « هند » وساعدها « جاسر » أن يمسكوا « بياسر » بعد أن قفز محاولاً تتبع الرجل والقبض عليه.. وارتفع صوته يقول: دعوني.. يجب أن نقبض عليه الآن.

قال « جاسر »: اهدأ ليس الآن.. إنه لا يعرف أننا نتبعه، ونحن نعرف طريقه، لا فائدة من القبض عليه.. إن أمامنا عملاً أكثر أهمية.. هو أن نقتحم هذا المكان..

وأشار « جاسر » بيده إلى الباب السري!

* * *



المفاجأة

نظر الثلاثة إلى مكان الباب الذي خرج منه الرجل وهم صامتون تماماً.. ثم تحدث « جاسر » بهدوء قائلاً: ما رأيكم؟ هل من الأوفق أن نتصل بالشرطة الآن ونتحدث إلى النقيب « حسين » ونقص عليه كل ما حدث؟ فعمي لن يعود إلى القاهرة إلا بعد عدة أيام..

ياسر : هل تعتقد أنه من الممكن أن يصدقنا؟

هند : أشك في ذلك! فهو يتحدث إلينا وكأننا أطفال في حالة قلق لغياب والدهم! وليس معنا حتى الآن الدليل المادي على وقوع جريمة الاختطاف، ولم يتصل أحد من أهالي السبعة المختطفين بالشرطة.. ولذلك لا أرى أن النقيب « حسين » سيولينا أي اهتمام!

جاسر: إذن ماذا نفعل الآن؟

ياسر : حل واحد.. أن نقتحم هذا الباب ونرى ماذا نجد وراءه؟

هند : إذن علينا بالحرص الشديد!

اقترب الثلاثة من مكان الباب ببطء وسكون.. وأخذ « جاسر » يتحسس الحائط بدقة، حتى شعر بفراغ رفيع كالخيط الدقيق.. فهمس قائلاً: هذا هو الباب!

وببطء بدأ يضغط عليه، وشيئاً فشيئاً.. بدأ الباب يستجيب له وينزلق إلى الداخل في نعومة شديدة، وازداد ضغط « جاسر » عليه حتى بدت فتحته كاملة تماماً.. وليس وراءها إلا الظلام العميق.. أخرج « جاسر » بطاريته من جيبه، ووضع يده عليها حتى لا يندفع ضوؤها كاملاً ثم أضاءها.. واندفع شعاعها يخترق ظلام الباب، ولم تبد إلا فتحة سوداء في الحائط، فأدار مصباحه إلى الأرض.. وإذا بعدد من درجات سلم ضيق لا يكاد اتساعه يتحمل غير شخص واحد يبدو تحت شعاع البطارية..

وقال « ياسر »: انتظر يا « جاسر ».. سأبدأ أنا في النزول!

جاسر: ليس مهماً من ينزل أولاً! بالعكس أنزل أنا في البداية وعليك أن تحمي ظهري من أية مفاجأة!

همست « هند »: سيحمينا « عجيبة » نحن الثلاثة من أي هجوم خارجي..

وركعت على ركبتيها وأجلست « عجيبة » على باب السلم وهمست في أذنه أن ينتظرها! ولم يكن في حاجة إلى أن تنبهه

إلى النباح إذا وصل شخص غريب.. فهذه المهمة يدركها هو جيداً قبل أي فرد آخر.

بدأ « جاسر » يتحسس طريقه على ضوء شعاع بطاريته.. يتبعه « ياسر » ثم « هند »! وهمس « ياسر » في أذنها حتى لا تشعل بطاريتها اكتفاء ببطارية « جاسر » وساعدتهم أحذيتهم المطاطية على عدم إحداث أي صوت! وكانت السلالم مظلمة ومنحدرة في وضع يكاد يكون رأسياً.. وطال بهم النزول، وضاقت أنفاسهم لقلة الهواء.. وهمس « ياسر »: أشعر بأني كمن ينزل إلى قلب الهرم الأكبر..

فطلبت منه « هند » أن يصمت تماماً..

وبعد جهد لمست قدم « جاسر » أرضاً مسطحة.. فهمس لقد وصلنا، وأرسل شعاع بطاريته يتحسس بها المكان.. فوجد أرضاً حجرية متسعة ووصل إليه « ياسر » و « هند » ووقفوا معاً.. وكأنهم في حجرة ضيقة، ولكنها خالية تماماً.. ورفع « جاسر » يده وترك نور البطارية يملأ المكان، وأخذ يديرها في أركانه المختلفة.. فإذا بهم في حجرة حجرية تماماً وكأنها قد نحتت في قلب جبل، الجدران والأرض صخرية.. وقطع صخورها ضخمة ومتلاصقة.. وسقفها مرتفع ومن الصخور والأحجار نفسها..

جاسر: يبدو أننا في كهف..

ياسر : وكأنه جزء من الجبل..

هند : والغريب أنه خال تماماً من أي أثر أو أي شخص.. أين ذهب الرجل بحقائب الطعام إذن؟!

جاسر: لا يبدو أن هناك مكاناً آخر إطلاقاً.. فها هو ذا الكهف خال أمامنا من أي أثر للحقيبتين!

بدأت « هند » تتحسس الجدران.. وقال « ياسر »: هل تعتقدين أن هناك باباً آخر.

هند : ربما بل أعتقد أنه هو الحل الوحيد!

أضاء « ياسر » بطاريته أيضاً، وبدأ الثلاثة يتحسسون الجدران الصخرية.. لا شيء! تشجع « جاسر » وبدأ يطرق الأحجار فربما سمع طرقة جوفاء ليكتشف وراءها فراغاً أو يجد جزءاً من الخشب كما في الباب الخارجي.. وطال بهم الوقت وهم يستكشفون المكان.. بلا فائدة.

وفجأة توقفت « هند » وقالت: لقد كنا ننزل السلم ونحن مستغرقون تماماً في الالتفات تحت أقدامنا.. ربما كان هناك باب أو فتحة في ممر السلم نفسه!

ياسر : حسناً.. سأختبر حائط السلم حجراً حجراً!

أمسك بطاريته. وأسرع يصعد السلم درجة درجة.. يطرق جدران الحوائط من اليمين حتى وصل إلى الباب، ثم عاد مختبراً الجانب

الشمالي حتى رجع إلى الكهف.. ولم يظهر له أي اختلاف.. كان الممر منحوتاً من الصخر الأصم الأملس!

همس « جاسر »: لم يبق إلا مكان واحد.. السقف!

هند : ولكنه مرتفع! كيف نصل اليه؟

وسط كل هذه الحيرة ابتسم « ياسر » قائلاً: ولماذا كنت أتدرب على حمل الأثقال؟ أليس لمثل هذه الظروف؟ تعال يا « جاسر »، سأحملك على كتفي وأدور بك، عليك اختبار السقف!

انحنى « ياسر »، حتى تسلق « جاسر » كتفيه، وبهدوء احتفظ بتوازنه جيداً، وبدأ يرفع قامته حتى استوى واقفاً، وهو يحمل « جاسر » على كتفيه، وكأنه يحمل طفلاً صغيراً!

ومرت الدقائق ثقيلة.. و « جاسر » يختبر السقف حجراً حجراً، وشبراً شبراً.. يتحسسه ثم يطرق عليه.. حتى انتهى السقف كله ولم تظهر بادرة أمل..

وقفز « جاسر » من على كتفي « ياسر ».. وعندما سقط على الأرض تذكر أنهم لم يختبروا أرضية الكهف.. فسارع الثلاثة يشتركون في اختبارها.. يزحفون على ركبهم صامتين.. يطرقون ويطرقون وقد كادوا ينسون حرصهم من فرط القلق.. ولكنهم للأسف لم يصلوا إلى نتيجة..

واجه بعضهم بعضاً صامتين، لقد ازداد اللغز غموضاً..

وضاع مجهود يوم كامل من المراقبة.. وبعد أن اعتقدوا أنهم على وشك الوصول إلى نهاية هذه المغامرة الغريبة.. إذا بالطرق كلها أمامهم مسدودة، وإذا بطرف الخيط الذي أمسكوا به ينقطع!

فتح « ياسر » فمه ليتكلم.. ولكن « هند » أشارت إليه بالصمت، وقالت بصوت هامس:

— لا تتحدث هنا، ما زلت أعتقد أننا لم نصل إلى المكان السليم، ربما كان هناك من يتنصت علينا من وراء جدار، تعالوا نخرج ثم نتحدث!

أخذ « ياسر » يتحسس الطريق في المقدمة، ثم تشجع وأطلق شعاع بطاريته ينير المكان.. وأخذ يصعد السلم في سرعة تتبعه « هند » ثم « جاسر ».. وما أن وصلوا إلى الخارج، حتى انطلقوا يشمون الهواء في قوة، تعوضهم عن ضعف الهواء في الداخل، ونبح « عجيبة » بعد أن هب واقفاً نبحة ترحيب، وربتت « هند » على ظهره فصمت!

قال « ياسر » مندفعاً: لم يعد هناك طريق آخر.. إلا تنفيذ ما اقترحته عليكم من قبل، أن نهاجم الرجل العجوز ونرغمه على الكلام!

تمتم « جاسر » في صوت خافت: ما زلت متخوفاً من تنفيذ هذا الاقتراح، أليس لدينا أية فكرة أخرى؟

هند : يستحسن ألا نندفع في تنفيذ أية أفكار الآن، وأنا أرى أنه لم يعد هناك فائدة من البقاء هنا، ما رأيكما في أن نعود إلى البيت، وهناك نتمكن من التفكير في هدوء؟!

لم يعد هناك بد من الموافقة على رأي « هند »، فتوجهوا في سكون إلى طريق المعادي.. وكان الوقت قد تأخر.. وقضوا مدة طويلة قبل أن يتمكنوا من العثور على « تاكسي » يعود بهم إلى البيت، وساد الصمت بينهم طوال رحلة العودة، وكل منهم يفكر.. ما الخطوة القادمة؟

ووصلوا إلى البيت في وقت مناسب، فبمجرد دخولهم ارتفع رنين جرس التليفون، كانت والدتهم تطمئن عليهم.. ورد عليها « جاسر » مطمئناً.. وأخبرها أنهم قضوا اليوم في الخارج في عدة زيارات، وأنهم في طريقهم إلى النوم..

والتقوا في حجرة نوم « هند » وبدأ كل منهم يعرض على الآخرين رأيه أما « ياسر » فهو مصمم على أن مهاجمة الرجل هي السبيل الوحيد.. واختلف « جاسر » معه في الرأي خوفاً من التجاء الرجل إلى الشرطة، وأخيراً اقترحت « هند » عليهم اقتراحاً لاقى قبول شقيقيها..

قالت « هند »: من رأيي أن الرجل العجوز يذهب يومياً وفي الموعد نفسه إلى المكان نفسه، فمن الواضح أنه يشتري الطعام يومياً ويوصله إلى حيث توجد العصابة وضحاياها.. فما رأيكما لو تتبعناه غداً أيضاً وفي اللحظة التي يبدأ فيها في الدخول إلى مكان العصابة يهاجمه « ياسر » ويضطره إلى السير أمامه مكملاً الطريق إلى حيث توجد العصابة..

جاسر: هذا هو الرأي الصواب.. وأزيد عليه أنني و « هند » سنراقبك من بعيد بحيث لا يلحظ الرجل وجودنا ويعتقد أنك المهاجم الوحيد، ثم نتبعك من على بعد خطوات، وندخل وراءك، حتى إذا حاول الرجل الاستغاثة بالعصابة ضدك، استطعنا نحن أن نتصرف!

هند : معقول! معقول جداً!

جاسر: إذن هيا الى النوم، حتى نستطيع أن نأخذ قسطاً وافياً من الراحة فنستيقظ ونحن نشعر بمزيد من النشاط يساعدنا على تحمل ما يمكن أن يصادفنا غداً!

رقد كل واحد في سريره، ولكن النوم لم يكن سهلاً، فقد بدأ القلق يتزايد، والأفكار المضطربة تسيطر عليهم.. غداً سيكون اليوم الثالث على غياب والدهم.. أو بمعنى أصح اليوم الثالث على اختطافه، ترى ماذا حدث له؟ ما الذي جرى في اليومين الماضيين؟..

هل هو بخير؟ هل ما زال حياً؟.. ومن هو المجرم المجهول الذي يتجرأ على اختطاف سبعة من الزملاء كلهم من ذوي السيرة الحسنة والمكانة المرموقة في المجتمع؟ هل يمكن أن يكون مجنوناً، أو حقاً عصابة أجنبية؟

ظلت هذه الخواطر ومثلها تسيطر عليهم جميعاً، حتى استغرقوا أخيراً في نوم عميق! وإن لم يخل من بعض الأحلام المزعجة..

في الصباح.. وفي الموعد المحدد، استيقظ الثلاثة، ولكن مرحهم المعتاد لم يكن موجوداً، واستقروا على مائدة الإفطار، وتناولوا الإفطار بدون شهية.. ووقف « ياسر » أخيراً وقال: إنني لن أستطيع الانتظار حتى المساء، أخاف أن يخلف الرجل مواعيده، سأذهب لأراقبه منذ الصباح، وسأعود إليكم في الساعة الثانية كالمعتاد..

خرج « ياسر ».. وبقيت « هند » و « جاسر » يتبادلان وجهة النظر ولكنهما لم يستطيعا التوصل إلى رأي محدد في هذا اللغز الغامض.. وانتظروا حتى عاد « ياسر » والوقت يمضي بطيئاً.. ولكن « ياسر » طمأنهم على أن كل شيء يسير في الطريق الذي توقعوه، مثلما حدث بالأمس، خرج الرجل واشترى كمية الطعام التي اشتراها من قبل ووضع الحقيبتين في غرفته ثم تناول غداءه، ونام..

تناولوا هم أيضاً غداءهم في ملل.. وظلوا ينتظرون مرور الوقت حتى يأتي المساء، ولكن « ياسر » لم يستطع مزيداً من الصبر،

فاقترح عليهم أن يذهبوا إلى القصر حتى لا تحدث أية مفاجأة فيسبقهم الرجل مثلاً.

وافقوا، واستعدوا بالأحذية والملابس الخفيفة، وكانت الشمس قد بدأت في المغيب عندما وصلوا.. واحتموا بجدار القصر بعيداً عن الطريق الذي يأتي منه الرجل.. وظلوا ينتظرون وصوله لحظة بلحظة..

أظلمت الدنيا.. والصمت مخيم تماماً عليهم.. لا يتحدث واحد منهم بكلمة، والقلق يكاد يقتلهم.. حتى همست « هند » وهي تنظر إلى ساعة يدها: الساعة الآن التاسعة تماماً.. أعتقد أنه على وشك الوصول..

لم تتم « هند » كلمتها، حتى سمعوا صوتاً وكأنما قطعة صغيرة من الحجرة قد تدحرجت من مكانها بتأثير اصطدام قدم بها.. وازدادوا التصاقاً بالحائط، عندما ظهر شبح رجل يتقدم مقترباً من موقع الباب السري.. توقف الرجل ونظر يميناً ويساراً.. ثم وضع الحقيبتين على الأرض وبدأ يدفع الباب، الذي استجاب له حتى فتحه عن آخره..

وفي اللحظة التي انحنى فيها الرجل ليحمل الحقيبتين مرة أخرى، كانت هي اللحظة المناسبة التي انقض فيها « ياسر » عليه.. وأطبق بيده على فم الرجل يمنعه من الصياح..

اتسعت حدقة الرجل من الرعب، ولم يستطع أن يطلق صرخة واحدة، و « ياسر » قد شل حركته بيد وأغلق فمه باليد الأخرى..
وقال « ياسر » في صوت أجش.. لو تحدثت بكلمة واحدة لن تعرف ماذا سيحدث لك.. أصمت حتى أسألك.. وعليك أن تجيب على قدر سؤالي فقط!

اقترب « جاسر » و « هند » حتى استطاعا سماع الحديث بدون أن يلحظهما الرجل الذي كان غارقاً في الرعب..

قال « ياسر »: أجب عن سؤالي بوضوح وبسرعة! من أنت؟ ومن هو صاحب القصر؟

قال الرجل وهو يرتعد: أقسم لك أنني بريء.. لم أفعل شيئاً ولا أعرف أي شيء.. إنني مسكين أعمل بواباً لهذا القصر منذ ثلاثين عاماً.. وكلما باعه رجل لآخر كان البائع يشترط أن أظل حارساً للقصر فليس لي أي مورد أو عمل إلا حراسة هذا القصر.. ومنذ سنة اشتراه رجل لا أعرفه، ولم أره في حياتي، وليس له إلا خادم ضخم، كنت أخاف منظره، وقد حضر بعد شراء القصر مباشرة، فنقل كل محتوياته ما عدا فرش البهو في أول المدخل.. وكانت كل صلتي به عن طريق الخادم!

ياسر : وأين ذهب الأثاث؟

الرجل: لا أعرف! أعتقد أنه باعه لتجار الأثاث.

ياسر : إذن لماذا تشتري هذا الطعام؟

الرجل: منذ ثلاثة أيام أخبرني الخادم واسمه « حسان » أنهم سيقيمون حفلاً وأمرني ألا أغادر حجرتي عند باب القصر.. وطلب مني إحضار الطعام في هذا الموعد، وحذرني من أن يراني أحد وإلا عرضت نفسي للموت..

شعر « ياسر » من لهجة الرجل أنه صادق.. ولكنه لم يستطع أن يتركه فقال له: ولمن تعطي هذا الطعام؟

قال الرجل: أقسم لك أنني لا أعرف. لقد عرفني مكان هذا الباب وأنا أترك الحقائب بجوار الحائط في المخزن السفلي، ثم أخرج.. ولا أعرف بعد ذلك شيئاً.. أرجوك، أتركني لو عرف « حسان » أنني تحدثت إلى أي فرد غريب، فسوف يقتلني أنت لا تعرفه، ولا تعرف شكله.. إنني أخشاه، حرام عليك.. أنا رجل عجوز.. بريء.. لم أفعل شيئاً..

قال « ياسر » بصوت خشن: إذن احمل الطعام وأنزل أمامي وإياك أن تحدث أية حركة خداع.

كاد الرجل يصرخ وقال: لا.. لا.. أرجوك ابتعد، لا تعرض نفسك وتعرضني للموت!

ارتعدت « هند » وهي تسمع كلمة الموت، ولكن « ياسر » لم يأبه لكلام الرجل.. ودفعه أمامه وهو يقول: هيا.. تحرك! لا تخش شيئاً!

حمل الرجل حقيبتي الطعام وهو يرتعد.. وبدأ ينزل درجات السلم في الظلام خطوة وراء خطوة.. و « ياسر » يتبعه بدون أن يشعل بطاريته، واكتفى بتحسس الطريق وهو يشعر بالرجل أمامه وانتظرت « هند » و « جاسر » لحظات، ثم بدأ يتبعان « ياسر ».. في الطريق إلى القبو السري.

أنهى الرجل ثم « ياسر » نزول السلم.. وكانت هناك خمس درجات تفرق بينهما وبين « هند » و « جاسر ».. وسارا خطوتين في الظلام، وفجأة ملأ القبو ضوء ساطع.. وكأنما هناك عشرات من لمبات الكهرباء تملأ الكهف.. وأسرع « جاسر » و « هند » بالنزول.. وما كادا يصلان إلى الكهف حتى انطفأ النور فجأة وساد ظلام حالك، وارتفع صوت آلة ضخمة تدور لحظات قصيرة، وارتفعت صرخة هائلة ملأت بالرعب قلب « هند » و « جاسر ».. وشلتهما المفاجأة فلم يستطيعا أن يفعلا شيئاً.. مرت كل هذه الأحداث سريعة جداً. ثم صمت كل شيء وساد السكون..

وعندما أفاقت « هند » من الذهول الذي انتابها لمدة لحظات همست بصوت مرتفع: « ياسر »! « جاسر » أين أنتما؟

همس « جاسر »: أنا وراءك يا « هند » اشعلي بطاريتك فوراً!

أشعل « جاسر » و « هند » بطاريتيهما.. فملأت أشعتهما بالضوء الكهف كله..

وكانت المفاجأة.. الكبرى.. المذهلة.. الكهف خالٍ كما تركوه في المرة السابقة.. خال تماماً.. وبدأت المشكلة الجديدة.. لقد اختفى « ياسر » أيضاً!

* * *



اختفاء ياسر ..

صرخت « هند » بصوت عال: « ياسر ».. « ياسر ».. « ياسر ».. ولم يجبها إلا صدى الصوت كالرعد في الكهف الصخري الغامض، وصاح « جاسر » مستحيل.. مستحيل، إنني لا أستطيع أن أؤمن بالأشباح.. كيف يحدث هذا؟!

هل خطفه شبح يخترق هذه الجدران الصخرية؟ « ياسر ».. « ياسر »!

وردد الصدى صوته.. وساد الصمت..

قالت « هند » صارخة: إنه في مكان ما هنا، مستحيل أن يكون قد خرج من هذا الكهف المظلم، لقد كنا نقف على السلم ونسد الطريق.. و « عجيبة » في أعلى يمنع أي شخص من الدخول أو الخروج..

وفجأة سمعت صوت خطوات سريعة قادمة.. وقبل أن يرتفع صراخها.. وجدت « عجيبة » يقفز داخل الكهف، بعد أن سمع

صوتها.. ورفع « عجيبة » رأسه، وبدأ يطلق نباحاً عالياً.. وزاد من قوته صوت الصدى المتزايد.. فامتلأ الكهف بالأصوات المرعبة..

وصرخت « هند »: « ياسر ».. كفى يا « عجيبة ».. إننا نبحث عن « ياسر »..

اندفع « عجيبة » وصوت نباحه يتعالى إلى جانب من الجدار وبدأ يحاول غرز أظافره فيه، ولكن الصخر كان أملس.. شديد النعومة فانزلقت أظافره.. ولكنه لم ييأس، فأخذ يتعلق بالصخر ويطلق نباحاً كالصراخ..

قال « جاسر » بعنف: لا فائدة من كل ذلك يا « هند »، يجب أن نخطر الشرطة.. فوراً.. الآن.. لم يعد هناك شك في وجود عصابة تختطف الأبرياء!

هند : سأترك « عجيبة » هنا، أخشى أن يبرح أي شخص أو يدخل إلى الكهف. « عجيبة » سيتكفل بالقبض عليه.. فأسرع يا « جاسر ».. يجب أن نصل إلى الشرطة بأقصى سرعة!

تركت « هند » « عجيبة » في محاولته هدم الصخور، واندفعت مع « جاسر » على ضوء البطارية يصعدون السلم.. وفي الخارج كان كل شيء هادئاً والحياة تسير وكأنه لم يحدث أي شيء!

وصلت « هند » و « جاسر » إلى مكتب عمهم، وسألا عن المفتش « عماد »، ومن حسن حظهما أنه عاد من مأموريته تواً

وكان موجوداً في مكتبه، واستقبلهما على الفور، ورحب بهما.

جاسر: عمي « ياسر » خطف!

ذهل المقدم « عماد » وسأله: خطف؟ متى؟ وأين؟

قالت « هند »: إن القصة طويلة وحدثت أشياء خطيرة في غيابك.. ألم يخبرك النقيب « حسين عبد السلام » بشيء؟

المفتش « عماد »: لا.. فقد عدت منذ نصف ساعة فقط..

وبدأ « جاسر » يقص على الضابط كل ما وقع لهم بالتفاصيل الدقيقة حتى أحداث الساعة السابقة.. واختفاء « ياسر »!

قال المقدم « عماد » وهو يهب واقفاً: معلومات في غاية الأهمية والخطورة.. لا يمكن الانتظار أكثر من ذلك وخصوصاً اني أعلم أن القصر قد اشتراه أخيراً منذ سنة رجل مشكوك فيه، ولكن لأسباب أخرى غير الاختطاف، ولكنه كان في الخارج وكنا في انتظاره.. هيا بنا..

جمع المفتش قوة من الجنود، واصطحب « جاسر » و « هند » معه واتجهوا إلى القصر.. وبعد قليل كانوا يهبطون السلم إلى الكهف، وكان « عجيبة » راقداً في المكان نفسه الذي كان يحاول التعلق به.. لم يتركه..

وكما فعل الأولاد من قبل بدأ المقدم « عماد » يفحص الجدران بكل دقة وقد استعمل كشافاً كبيراً غمر الحائط والكهف كله بالضوء، وكما حدث من قبل أيضاً لم يجد شيئاً!

أخيراً قال المفتش « عماد »: أرجو أن تعودا إلى البيت، لقد تأخر الوقت، ولن يمكنكما البقاء معنا حتى الصباح.. نحن سنقوم بكل التحريات الممكنة، والحل أمامي أن أطلب من مصلحة المساحة بحث تخطيط القصر إذا كان لديهم مثل هذا التخطيط، وهذا الروتين يأخذ وقتاً كما تعلمون.. كما سأستعين بالمعمل الجنائي في بحث ما وراء هذه الجدران.. أرجوكما.. اطمئنا الآن، وعودا الى المنزل وسأتصل بكما إذا استدعى الأمر!

لم يكن أمامهما إلا الامتثال لطلب عمهما، وعادا إلى البيت في صحبة شرطي بسيارة النجدة ومعهما « عجيبة »، وحمدا الله أن والدتهما لم تعد إلى البيت أيضاً هذا المساء، ولم يفكرا في ازعاجها بمسألة « ياسر » خوفاً مما قد تسببه لها الصدمة، اعتماداً على ما سيفعله المفتش « عماد »..

لم تستطع « هند » ولم يستطع « جاسر » أن يتناولا أي طعام، وجلسا يفكران فيما حدث وكل منهما يحاول إيجاد حل للغز اختفاء « ياسر » الغامض!

قال « جاسر »: لا فائدة من كل هذا السهر يا « هند »، حاولي أن تأخذي قسطاً من النوم، فيبدو أن أمامنا غداً يوماً مثيراً وشديد الإرهاق!

ذهبت « هند » إلى فراشها، وأخذت تحاول النوم بدون فائدة وتتقلب يميناً ويساراً.. ولكن الأفكار كانت تملأ رأسها، تحاول عبثاً الوصول إلى خيط في اللغز الغامض!

وفجأة قفزت جالسة، ووضعت الروب على كتفيها، وأسرعت تنزل إلى الدور الأرضي، واتجهت إلى المكتبة في غرفة المعيشة وبدأت البحث في كتبها، وعثرت على كتاب ضخم، فتحته وأخذت تقرأ فيه باستغراق شديد حتى أنها لم تسمع وقع أقدام « جاسر » وهو يقترب منها، وكادت تصرخ حين وجدته أمامها فجأة..

قال « جاسر » بغضب: ما هذا يا « هند »؟ هل هذا وقت قراءة؟ لقد كاد الليل ينتصف ولما وجدتني لا أستطيع النوم، ذهبت إلى غرفتك لأطمئن على أنك نائمة، وكدت أجن عندما لم أجدك في فراشك، لقد ظننت أنك اختطفت أنت الأخرى!

قالت « هند » وهي تتنهد: اطمئن! لم أختطف بعد، ولكن واتتني فكرة وأعتقد أنها صحيحة، فبحثت في هذا الكتاب الذي

يشرح كل شيء عن المباني الفرعونية.. حتى تأكدت فكرتي!

جلس « جاسر » بجوارها وسألها في لهفة: ما هي فكرتك؟

قالت: لقد تذكرت شيئين.. الأول: عندما رأينا القصر لأول مرة، وكان منظره غريباً.. وشعرت أن به شيئاً مختلفاً! ثم اكتشفنا أن معماره من الطراز الفرعوني!
الشيء الثاني: عندما كنا ننزل السلالم إلى القبو، وقال « ياسر » إنني أشعر وكأنني أنزل الى قلب الهرم الأكبر.. عندما تذكر ذلك، تذكرت ما هو أهم منه، أن « ياسر » قال أيضاً وهو يجمع تحرياته عن البيت، إن أول من بناه كان عالماً من علماء الآثار الأجانب، وتأكدت ظنوني بعد أن قرأت هذا الكتاب، لقد بناه عالم الآثار على طريقة بناء القبور الفرعونية وكان من عادة الفراعنة — عندما يريدون إخفاء كنوزهم — أن يبنوا غرفة سرية، ولكنهم يتركونها خالية، ثم يبنون في داخلها غرفة أخرى يضعون فيها الكنوز المراد إخفاؤها.. وكانت الفكرة أنه اذا توصل اللصوص إلى الغرفة الأولى ووجدوها خالية اعتقدوا أن لصوصاً غيرهم قد سبقوهم إليها.. على حين تظل الكنوز آمنة في مكانها.. وعندئذ تأكدت أن صاحب القصر بناه بهذه الطريقة، وأن الغرفة أو الكهف الأول الذي وصلنا إليه ليس إلا « غرفة الخداع » وأنه يخفي وراءه بغير شك غرفة أخرى هي

الحقيقية، وهي التي تختفي فيها العصابة، وربما أيضاً بعض الآثار ذات القيمة التاريخية العظيمة والتي جمعها عالم الآثار.

نظر « جاسر » إلى « هند » بإعجاب شديد وقال: رائع يا « هند »! لقد وصلت إلى حقيقة مدهشة، ولكن كيف يمكن أن نصل إلى الغرفة السرية؟

هند : هذا ما أفكر فيه.. ما رأيك لو اقترحنا على المقدم « عماد » أن يقوم بنسف جدار الكهف بالمفرقعات؟

جاسر: لا أظن أنه يوافق، فربما تسببت المفرقعات في هدم الكهف على من فيه..

هند : ما رأيك لو أخذنا قطعة قوية من الحديد ومطرقة، وبحثنا في الحائط عن مكان الباب السري؟

جاسر: هذا هو الرأي الصواب.. سأعد مطرقة قوية وقطعة من الحديد لها حافة حادة، وعن طريق الشقوق الرفيعة بين الصخور سأحاول أن أعثر على الباب حتى يصل البوليس إلى نتيجة، وسنبدأ عملنا في الصباح الباكر، ولذلك لا أرى فائدة من مواصلة السهر، لقد انتصف الليل فعلاً، فهيا إلى النوم!

قامت « هند » من مكانها، وسبقها « جاسر » الذي توقف فجأة.. وقال: إني أشعر بحركة غير عادية في الحديقة.. إن هناك من يراقبنا..

وبسرعة فتح « جاسر » النافذة المطلة على حديقة الفيلا، فوجد أمامه بين الأشجار وجهاً مخيفاً لرجل أسمر ذي شارب كث وعينين قاسيتين.. وسرعان ما فر الرجل هارباً وسط الظلام..

همست « هند » في ذهول: من هذا يا « جاسر »؟ هل يريدون اختطافنا نحن أيضاً؟

جاسر: هيا بنا لنبحث هذا الأمر..

وصعدا إلى حجرة « هند »، ونظرا من النافذة، لم يبد هناك أثر لأي شخص!

قالت « هند » مفسرة: هل تذكر وصف الرجل العجوز « لحسان » خادم صاحب القصر.. أعتقد أن الوصف ينطبق على هذا الرجل، وأنه هو الذي خطف « ياسر ».. وقد تركه في المخبأ السري، ولعل سيده قد أمره بالحضور إلى هنا للتجسس على أخبارنا، وهل اتصلنا بالشرطة مثلاً أو لا.

جاسر: يا لعقلك الرائع يا « هند ».. إنه استنتاج معقول ومدهش.. وهذا يدل على أن قصة الرجل العجوز صادقة، وعلى أن قصتك أيضاً حول الغرفة السرية حقيقية!

قالت « هند » بحماس: إذن يجب أن ننام فوراً، حتى نستيقظ مبكراً لنسرع في عملنا قبل أن يعملوا على التخلص منا..

ومع ذلك لم تستطع « هند » أن تنام بعمق إلا بعد مدة طويلة، وبعد أن نامت في سرير « ياسر » في غرفته هو و « جاسر » حتى تشعر بالاطمئنان في وجود شقيقها قريباً منها.. وبعد ان كانت قد وصلت إلى فكرة أكدت ظنونها من مكان الباب السري، إنه جزء من الحائط الذي رقد عنده « عجيبة » وحاول أن ينشب أظافره فيه، لقد شم رائحة « ياسر » بلا شك.. ومن هناك سوف يبدأ البحث..

* * *

عندما استيقظت « هند » شعرت بأنها قد نامت إلى ما بعد موعدها المعتاد.. نظرت في سرير « جاسر » فلم تجده، واتجهت بعينيها إلى الساعة الموجودة بالغرفة فوجدتها تقترب من الثامنة، فأسرعت تنفض عنها التعب وتقفز من سريرها.

وعندما وصلت الى « الحديقة » وجدت « جاسر » منهمكاً في إعداد قطعة من الحديد يسن طرفها.. وكانت أمامه أكثر من قطعة، أشار اليها وقال: نأخذ هذه القطع معنا..

هند : لماذا لم توقظني؟

جاسر: لقد كان التعب يبدو عليك واضحاً، فرأيت أن أتركك قليلاً حتى تنالي قسطاً وافياً من النوم!

هند : إذن هيا بنا.. لقد تأخرنا كثيراً..

وأطلق « جاسر » صفيراً طويلاً، أسرع إليهما على أثره « عجيبة »، وأخذا معداتهما وبطارياتهما.. وبدآ في السير فوراً..

وصلا إلى القصر.. وكانت الشرطة قد سبقتهما إلى الوصول ووجدا بعض الجنود يحيطون به من كل جانب، وفي مكان الباب السري جندي من جنود المقدم « عماد » عرفهما على الفور، وتبادل معهما التحية.. وعندما طلبا منه النزول إلى الكهف لم يعارض فقد رآهما مع ضابط الشرطة.. ويعرف قصتهما كاملة!

أشعلا مصباحيهما بدون حذر هذه المرة، وسبقهما « عجيبة » إلى النزول وكانت مفاجأة « هند » أنه اتجه فوراً إلى جزء الجدار الذي تمسك به بالأمس وأخذ يتشمم الصخر، ويطلق نباحاً بطيئاً وخافتاً..

ربتت « هند » على ظهره بحنان حتى يهدأ.. وثبتا المصباحين في الأرض حتى يضيئا لهما المنطقة التي سيبدآن العمل فيها..

وأمسك « جاسر » بقطعة الحديد والمطرقة.. وبدأ يتحسس الجدار بحثاً عن الشقوق التي تفصل بين صخرة وأخرى.. ثم أخذ يدس قطعة الحديد ويدق عليها بالمطرقة..

همست « هند »: « جاسر » أشعر أننا في الطريق الصحيح هذه المرة!

جاسر: أرجو ذلك يا « هند »!

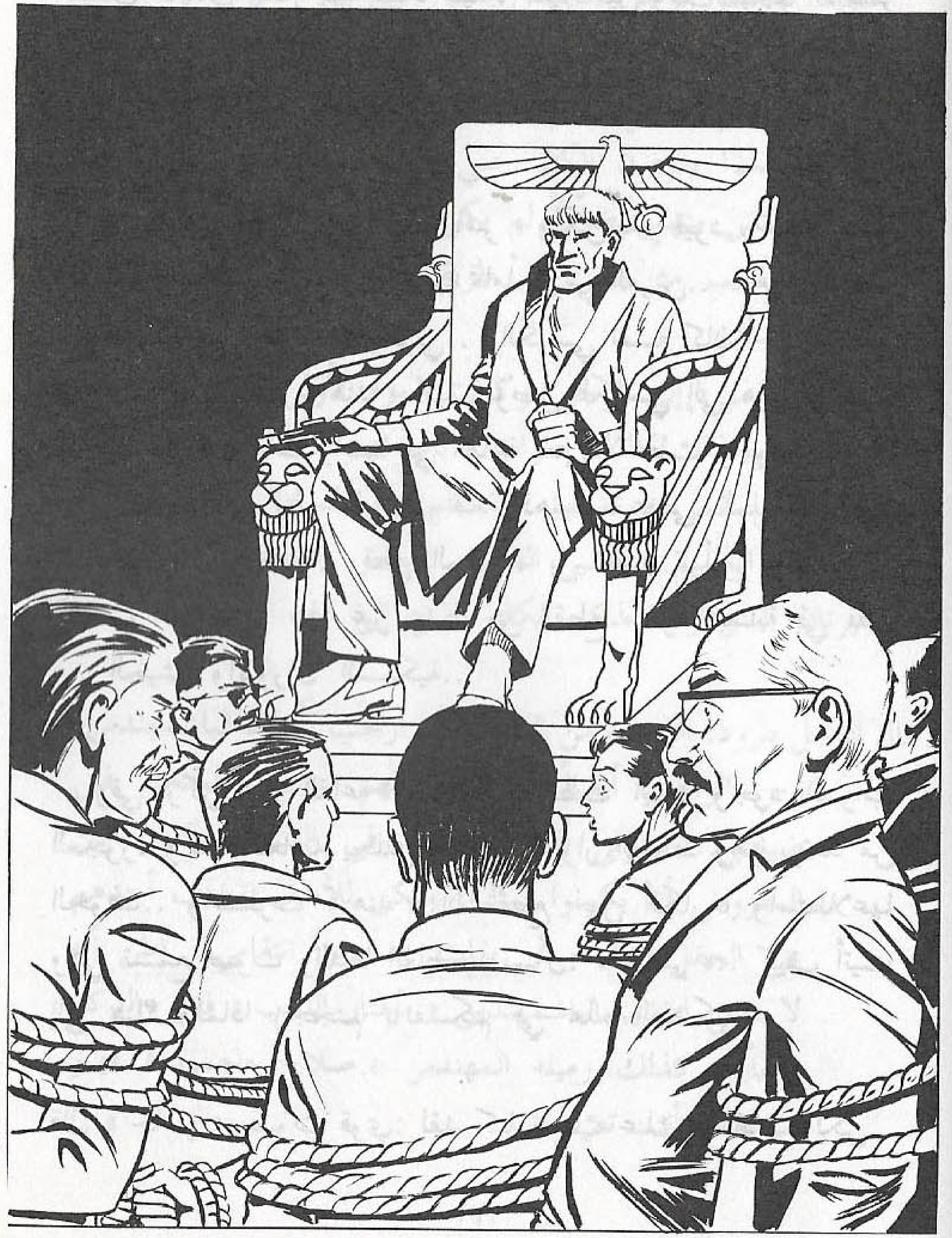
أخذ الصخر يتفتت قليلاً قليلاً بين طرقات المطرقة، وتناثرت شظاياه الصغيرة، ومع ذلك لم يبد أن هناك شيئاً وراءه أو أنه قد بدأ يهتز ولو قليلاً..

مضت ساعة تقريباً، فقالت « هند »: سأساعدك يا « جاسر » بقطعة أخرى من الحديد.. وأمسكت قطعة الحديد الثانية ومطرقة، وبدأت تدق الصخر دقات عصبية شديدة..

مضت الساعات.. وظهر التعب عليهما.. ولم يظهر على الصخر أية استجابة ما عدا تفتت بعض الشظايا الصغيرة!

أخرج « جاسر » منديله ومسح العرق عن وجهه وقال : لنسترح قليلاً.. ثم نبدأ من جديد..

جلسا بجوار الحائط.. وربض « عجيبة » أمامهما بجوار الجدار المقابل وكأنه يحمي المصباحين المضيئين.. وفجأة وقف على أقدامه منتبهاً، وشد أذنيه كأنهما يسمعان صوتاً غريباً، وفعلاً، بدأ صوت آلة عالية.. ثم في لحظات لم يدركها « جاسر » أو « هند »، شعرا وكأنما الحائط وراءهما يسقط.. وأن هناك أيدياً قوية قد جذبتهما.. وأطلق « عجيبة » نباحاً عالياً.. واندفع وراءهما.. ولكن رأسه اصطدمت بالجدار الذي عاد مكانه.. ودار « عجيبة » في الكهف كالمجنون.. ثم اندفع يصعد سلم الكهف وهو يطلق نباحاً عالياً.. صارخاً..



كشف السر ..

مرت دقائق قليلة كان الدوار يأخذ برأس « هند » فلم تدر أين هي، حتى أفاقت على صرخة تقول: « هند ».. « جاسر ».. لماذا أتيتما أيضاً إلى هنا؟

وأفاقت « هند » كان صوت والدها العزيز « مختار الديب »، واندفعت « هند » محاولة الوصول إليه، ولكنها شعرت أن هناك يداً قوية تحوطها وتحول بينها وبين الحركة..

وأخيراً سمعت صوتاً عميقاً وهادئاً يقول: أرجو أن تهدئي واعرفي أنه لا فائدة من أي حركة أو صرخة.. أنت هنا بعيدة عن العالم تماماً.. فتمالكي نفسك..

بدأت « هند » تتماسك، وبدأت تنظر حولها، وأصابها الذهول مما رأت.. كانت قاعة حجرية واسعة.. واسعة جداً، ولكنها مؤثثة بأفخر أثاث وقع عليه نظرها طوال حياتها.. وكان أمامها سبعة مقاعد وثيرة، يجلس عليها سبعة رجال، أحدهم كان والدها.. وكان السبعة

مقيدي الأيدي والأرجل بقيود متينة، على حين وقف الرجل الأسمر بينها وبين « جاسر ».. كان واضحاً أنه هو الذي جذبهما إلى الداخل بقوته الرهيبة..

على مقعد ثامن كان يجلس « ياسر » ولكن بغير قيود.. ثم في صدر القاعة رجل يجلس على كرسي يشبه تماماً كرسي العرش.. مقام على منصة عالية مبنية على الطراز الفرعوني.. والكرسي نفسه كان أحد كراسي الفراعنة.. وتعجبت « هند » كيف وصل الكرسي إلى هذا المكان؟ ولكنها ما أن أدارت رأسها في القاعة حتى لاحظت وجود عشرات من القطع الفرعونية الأثرية.. أقنعة ذهبية.. عصى الملوك.. أوان قديمة، تماثيل خالدة.. قطع الحلى.. بل تمثال لرأس فرعون من الذهب الخالص.. هذا غير عديد من القطع ملفوفة بعناية في قطع من الخيش والأوراق السمكية..

وفي ركن من القاعة الضخمة لاحظت أيضاً وجود البواب العجوز، وكان كعادته يجلس مكوماً بجوار الحائط وهو يرتعد من الخوف.. واضطرت « هند » أن تقطع حبل أفكارها واستطلاعها وهي تسمع صوت والدها الغاضب يسأل: « جاسر ».. كيف أتيت إلى هنا؟ ولماذا زججتم بأنفسكم في هذه المشكلة؟

قال « جاسر » بصوت قوي: لقد كنا نبحث عنك يا بابا.. ولكن..

فجأة تحدث الرجل الجالس على كرسي العرش ــ قال: إنني أهنئك يا باشمهندس على ذكاء أولادك.. لم أكن أود أن يصل انتقامي إليهم أيضاً.. ولكنهم شديدو الذكاء.. وقد أصبحوا يعرفون الكثير عني الآن.. ولذا كان يجب أن أتخلص منهم أيضاً.. لم يكن ذلك في تخطيطي.. ولكني لا أحب من يقف في طريقي أبداً!

نظر « جاسر » إلى الرجل، وكانت المرة الأولى التي يدقق فيها النظر اليه.. وكذلك كانت نظرات « ياسر » و « هند » مثبتة عليه.. بادلهم الرجل النظرات نفسها.. وابتسم لهم ابتسامة صفراء باردة.. كان ضئيل الجسم.. قصير القامة.. عريض الجبهة.. تشع عيناه الصغيرتان السوداوان بذكاء يكاد يصل إلى حد الجنون..

قال الرجل ببرود: أظن أنه من الواجب أن أرحب بأولاد الباشمهندس، ومن الواجب أيضاً أن أشرح لهم سبب وجودهم في ضيافتي.. دعوني أقدم لكم ضيوفي السبعة.. كان من المفروض أن يكونوا ثمانية، ولكن للأسف تخلف أحدهم عن الحفل، ولكنه لن يفلت أبداً من انتقامي.. أظن أنه لا داعي لتقديم الباشمهندس « مختار الديب » فهو والدكم طبعاً، وكذلك زميله المهندس « صلاح محمود » فهو صديقه وأنتم تعرفونه..

قال « ياسر » بصوت مرتفع: ونعرف أيضاً أن المدعو الذي تخلف هو الدكتور « عبد الحميد محمد ».. كما نعرف أن بين الحاضرين الأستاذ « جابر محمود » المدرس..

واتسعت عينا الرجل دهشة، ونظر إلى خادمه « حسان » وقال: ألم أقل لك إنهم يعرفون الشيء الكثير.. من حسن الحظ أننا استطعنا الوصول إليهم وإيقاعهم بين أيدينا.. والآن يا أصدقائي دعوني أقدم لكم الباقين.. (وأشار بيده إلى أحد الجالسين على الكرسي) وقال: الدكتور « عبد العليم عبد الحي » أستاذ الكيمياء الطبيعية في كلية العلوم، والأستاذ « شوقي جاد » الصحفي الكبير المعروف، وهذا هو السيد « فرحات أحمد » مدير شركة المقاولات المشهور، وأخيراً الصيدلي الكبير « حسنين السيد ».. أنظروا سبعة من الناجحين المثقفين الكبار، سبعة من اللامعين في حياتهم.. كلهم متفوقون في أعمالهم، يتولون أكبر المناصب، ويتصدرون دائماً زملاءهم.. ولكنهم للأسف لن يعودوا كذلك بعد اليوم..

ولمعت عيناه ببريق جنون وحشي!

نظر الأولاد إلى وجوه السبعة، وكانوا مقيدي الأيدي والأرجل ولكنهم ينظرون إلى الرجل نظرة احتقار رهيبة!

ونقلت « هند » نظرها من وجه الرجل إلى القاعة مرة أخرى، إلى الرياش الثمين فيها، ولاحظت أنها متجددة الهواء، كما أن الكهرباء تضيئها إضاءة قوية شاملة، وبجوار كرسي العرش منضدة فرعونية رائعة عليها جهاز تليفون أبيض اللون.

وتعجبت « هند » كيف يمكن أن تكون مؤثثة بكل الأدوات العصرية بهذا الشكل وهي في قلب الأرض، لقد كان الرجل يعمل حساباً لكل شيء!

قالت « هند » لوالدها وهي تشير إلى جهاز التليفون: هل تحدثت إلى والدتي من هنا؟

وقبل أن يرد المهندس « مختار » أطلق الرجل ضحكة شيطانية وقال: طبعاً.. ولقد كانت فكرة شديدة الذكاء، فقد استطعت أن أبعد الشرطة عن طريقي.. أرغمتهم على الاتصال بأهلهم واحداً بعد الآخر ليطمئنوا عليهم فلا يتصلوا بالشرطة، يطمئنوا عليهم.. ها.. ها..

وأطلق ضحكة شيطانية وواصل حديثه بلهجة باردة: سوف يطمئنون عليهم إلى الأبد! لن يخرجوا من هنا أحياء أبداً، بل لن يخرجوا إطلاقاً.. أحياء أو أمواتاً!

نظر « ياسر » إلى أبيه وقال: أبي.. من فضلك أخبرنا.. من هذا الرجل؟ ماذا يريد منكم؟

قال المهندس « مختار »: أعتقد أنه سيقدم لكم نفسه فيبدو أنه مصاب بمرض جنون العظمة، وحب الاستعراض، وسيكون من الممتع له أن يتحدث عن نفسه!

صرخ الرجل: اسكت.. اسكتوا.. جميعاً، لا أريد أن يتحدث أحد منكم هنا.. أنا فقط الذي أتكلم لقد تكلمتم كثيراً، سنين طويلة وأنا صامت.. والآن جاء عليكم الدور لتصمتوا وأتكلم أنا..

وبدأ الرجل ينزل عن كرسي العرش.. خطوة خطوة، وكأنه ملك عظيم، أو ممثل يقوم بدور الإمبراطور.. وقد وقف الخادم « خسان » بين يديه..

أزاح « حسان » جانباً، وبدأ يتجول بين الموجودين.. كملك يتحدث إلى رعاياه.. أو كممثل عظيم يحيي الجمهور..

دار دورة كاملة بين السبعة المخطوفين.. وهو ينظر إليهم واحداً واحداً.. ثم تحول عنهم إلى الأولاد وقال:

هل تريدون أن تعرفوا من أنا.. لا بأس سيكون ذلك درساً لكم.. آه.. لقد نسيت، ماذا يفيدكم الدرس وأنتم لن تخرجوا من هنا، على كل حال سأقص عليكم قصتي، فمن المفيد أن تعرفوها، وليس هناك ضرر من ذلك فأنتم لن تعيشوا

طويلاً لتمثلوا أي خطر عليّ، ولن تخرج القصة من بين صدوركم، فسوف تصمتون أنتم أيضاً إلى الأبد!

كان « جاسر » قريباً من « هند »: فهمس لها.. لقد أصيب الرجل بالجنون.. ولا أستبعد أن يحقق وعيده فيقتلنا جميعاً!

وصرخ الرجل: أسكت أسكت.. لا أريد أن أسمع صوتاً هنا!

أخذ الرجل ينقل خطواته بينهم، ثم تحدث بصوت حاول أن يجعله هادئاً قال: اسمي « فهمي بسيوني »..

قالها وانتظر ليرى أي تعبير في وجوههم.. فلم يجد شيئاً ما عدا شبح ابتسامة لاحت على وجه « ياسر »..

واصل حديثه وقد بدأ صوته يرتفع بالانفعال: طبعاً لا تعرفون شيئاً عن هذا الاسم! فهو اسم مجهول لا يعرفه أحد، ولكني كنت يوماً من الأيام.. واحداً من هؤلاء.. (وأشار بجنون إلى السبعة المقيدين، ثم واصل حديثه): نعم، كنت واحداً منهم.. كنا زملاء في الدراسة الثانوية.. كنا جميعاً زملاء في فصل واحد، ولكنهم حطموني، نجحوا في تحطيم مستقبلي.. لم أستطع أن أصل إلى ما وصلوا إليه أبداً، لقد أصبحوا مهندسين وأطباء وأساتذة وصحفيين، وتخلفت في حياتي، ماذا أصبحت، لا شيء.. كان حلمي أن أكون

صيدلياً، ولكنهم نجحوا في أن يحولوني إلى متشرد.. نعم متشرد..

وبدأ صوته يرتفع حتى وصل إلى حد الصراخ وقال: هل تذكرون؟ هل تذكرون ماذا فعلتم بي؟ لقد كنتم تتنافسون دائماً على القمة، على أفضل الدرجات، على الأولوية وأنا.. وكنتم تتجاهلونني.. كنتم تسخرون دائماً مني، وتتهموني بالغباء، كنت خجولاً لا أستطيع الاندماج معكم، وأنتم في غمار المنافسة لم تتوقفوا لتأخذوا بيدي، وكنت أراكم برغم المنافسة أصدقاء، ولكنكم نبذتموني.. وبدلاً من أن تشاركوني في ألعابكم.. جعلتم مني لعبة بين أيديكم!

انبعث صوت هادئ.. التفتوا إليه، كان الأستاذ « جابر محمود » يقول بهدوء: اسمع يا « فهمي »، يجب أن تتحدث بهدوء.. تذكر جيداً لقد كنت أنت الذي تنفر منا وترفض الاشتراك في ألعابنا!

توجه إليه « فهمي » وقال: لا تحاول إقناعي بلهجتك الهادئة هذه، لقد تعودتها، ما زال صدى صوتك يرن في أذني طوال السنين، لقد كنت تفخر دائماً بأنك ستكون مدرساً لامعاً وناجحاً.. وقد أصبحت، وكنت تسخر مني دائماً وتتهمني بالغباء، هل تذكر اليوم الذي لم أستطع الإجابة عن سؤال

أحد المدرسين، فهمست في أذني « انتظرني حتى أتخرج وأصبح مدرساً وسأعطيك درساً خصوصياً ».. أنظر!.. أنا الآن الذي أعطيك درساً قبل أن تفارق الحياة! وأنت يا صديقي الصحفي المشهور.. هل تذكر عندما كنت تتحدث عن مستقبلك الباهر.. لقد وقفت كالخطيب تقول ستكون مقالتي الأولى عن « التخلف العقلي »، وأشرت بيدك إليّ.. هل تذكر؟

نظر إليه الأستاذ « شوقي جاد » باحتقار وقال: يبدو أنني لم أخطئ، فها هو ذا الجنون يبدو عليك بوضوح..

واشتدت لمعة الجنون في عينيه وهو يقول: وصديقنا الدكتور « عبد الحميد محمد » كان يشير إلى جسدي الضئيل ويضحك وهو يقول: « لو أنني شرحت يوماً ما عندما التحق بكلية الطب جسماً مثل هذا الجسم الصغير فإنني سأرسب حتماً.. ولكنه نجح.. وأصبح طبيباً مشهوراً، وأنا الذي رسبت!

واصل « فهمي » حديثه قائلاً: وأنت يا باشمهندس.. هل تذكر اليوم الذي قفزت فيه من فوق الشجرة أمامي مباشرة وسط الظلام.. وعندما صرخت أنا من الخوف، انطلقتم جميعاً تضحكون.. ومن يومها أصبحت الجبان الوحيد بينكم.. هل تذكر.. هل تذكرون ماذا فعلتم بي لا تحاولوا التهرب

الآن من جرائمكم.. لا تدّعوا البراءة أمام هؤلاء الأولاد!

قال المهندس « مختار » ناظراً إلى أولاده: عندما أتى إلينا في بداية الدراسة الثانوية، كان طالباً منطوياً خجولاً.. متخلفاً في دراسته، وكانت كل محاولاتنا لجذبه إلى دائرة ألعابنا تبوء بالإخفاق.. انظروا، إنه يعلق إخفاقه علينا الآن.. كنا دائماً يضحك بعضنا مع بعض كما يضحك الزملاء.. وكثيراً ما قفزت أمام زميلنا الدكتور « عبد الحميد »، ولكنه كان يجري ورائي، ويضحك.. ونضحك جميعاً..

قال الصحفي الأستاذ « شوقي جابر »: لو أنك كنت إنساناً طبيعياً حقيقة، وشعرت بهذا الاضطهاد الذي تتصوره، لجعلك هذا تتفوق علينا، وتفوز في الدراسة قبل الجميع.

قال « فهمي » وهو يهز رأسه بعنف وعناد: لا.. لا.. أنتم السبب، لقد نجحتم جميعاً ما عداي، ودخلتم الكليات التي رغبتم فيها ورسمتم مستقبلكم عليها.. وكنت أتابع خطواتكم وأنتم تنجحون في دراستكم وأنا أواصل الرسوب، حتى فصلت من المدرسة.. ويومها.. فقط وضعت هدفاً لحياتي.. الانتقام منكم..

قال الدكتور « عبد العليم عبد الحي » الأستاذ الجامعي: أنت مسكين.. مريض.. تحتاج إلى علاج سريع!

أجاب « فهمي » من بين أسنانه: علاجي السريع الوحيد هو الانتقام منكم وتحطيمكم إلى الأبد، سأتخلص منكم، ولن تعودوا تزعجونني بنجاحكم..

استدار « فهمي » وصعد بوقار شديد وجلس على كرسي العرش.. ونظر إلى جمهوره بكبرياء جنوني وقال: لقد أتى الدور لأتمتع بمنظركم وأنتم أسرى أوامري، أنظروا لقد بدأ الجوع ينتابكم، ولكني سأبدأ انتقامي منذ الآن، لن تتناولوا طعاماً ولا شراباً، لقد أطعمتكم الأيام السابقة، لأني كنت أريد أن أقضي معكم وقتاً كافياً استمتع فيه بمنظركم.. هل تعرفون كيف وصلت إليكم؟ لقد كلفني ذلك الكثير من الجهد والمال، ولكن لا بأس أن أقص عليكم الطريقة، عندما فصلتني إدارة المدرسة من سجلاتها.. وقتها فقط بدأت أرسم مستقبلي جعلت هدفي الأكبر الانتقام منكم جميعاً، وهدفي الأصغر الوصول إلى الثراء.. فالمال هو الذي سيوصلني إليكم.. كنت أتتبع أخباركم واحداً، واحداً، وجعلت عندي أرشيفاً خاصاً لصوركم وأحاديثكم ونجاحكم.. وفي الوقت نفسه عملت في التجارة، إنها مهنة لا تحتاج إلى شهادات، وبرغم نجاحي السريع فيها فإنها لم تهمني إلا كوسيلة.. لجمع المال.. المال الذي سيوصلني إليكم.. وجمعت منه ما يكفيني للوصول إلى هدفي.. وقد

فكرت يوماً أن أتخلص منكم واحداً إثر واحد.. ولكني خشيت أن يفلت أحدكم من يدي، وأنا رجل تعودت بعد فصلي من المدرسة ألا أقدم على خطوة إلا بعد التأكد من نجاحها.. وخدمني الحظ.. عندما كنت في الخارج، قابلت ابن العالم الأثري الذي بنى هذا البيت.. وعندما علم أنني من القاهرة أخذ يحدثني عن بيت أبيه، وقال إن عنده رسماً تفصيلياً ورثه عن والده يبين منافذ البيت السرية، عندئذ خطر ببالي أن أحصل على القصر أولاً.. لأنفذ فيه الخطة التي عشت عمري من أجلها.. اشتريت منه الرسم بمبلغ طائل فقد كان يعلم بوجود هذه الآثار فيه ثم ظللت أتتبع أخبار أصحابه، حتى علمت أن صاحبه الأخير قد هجره منذ عشرين عاماً، وأنه مريض في المستشفى، لم يكن له ورثة، كان مريضاً يحتاج إلى أموال للعلاج، أقنعته بشراء البيت، ومن حسن حظي أنه لم يكن يرغب في الاحتفاظ به، فلم أجد مشقة في إقناعه ولكنه اشترط عليّ في عقد البيع الاحتفاظ بهذا البواب الغبي والذي تسبب بغبائه في وصول هؤلاء الأولاد إلى هنا.. وعندما أصبح القصر ملكاً لي، وعندما تأكدت من غرفه السرية طبقاً للرسوم التي حصلت عليها.. بدأت في تنفيذ خطتي..

صمت « فهمي » قليلاً ونظر إلى الأولاد ليعرف تأثير قصته عليهم،

كان « جاسر » يفكر في هذا الرجل الشيطان.. هل هو مجنون حقيقة أو عبقري؟ ولماذا لم يستعمل عبقريته هذه في الخير بدلاً من طريق الشر؟

وكانت « هند » تفكر.. هل سينفذ تهديده فعلاً ويتخلص منهم جميعاً؟ وكيف تكون الطريقة يا ترى؟

أما « ياسر » فكان تفكيره في اتجاه آخر.. هل من المفيد أن يهاجمه الآن؟ كيف يستطيع مع وجود هذا الخادم القوي الجبار.. ثم ما هي وسيلة الخروج حتى لو نجح؟ إنه لا يعرف حتى الآن كيف دخل إلى هذه القاعة؟

عندما وجد « فهمي » أن الصمت يخيم على الجميع، واصل قصته قائلاً: وفكرت في طريقة الدعوة الغامضة، كنت أعرفهم، سيحاول كل منهم بذكائه أن يعرف مرسلها، ثم يدفعهم الفضول إلى الحضور، وتكفل « حسان » بتوصيل الدعوة برميها تحت أبواب البيوت حتى أتأكد من وصولها فعلاً، ووقعتها بحرفين يمكن أن ينطبقا على أسماء كثيرة.. وقد وصلوا إلى الفخ بأرجلهم.. وعندما وصلوا عرفوني طبعاً وقابلتهم بكل ترحاب، وكما هي عادتهم عندما تقابلوا أخذوا يتصافحون بحرارة، واستغرقوا في الحديث والذكريات فلم يفطنوا إلى شيء.. وقدمت لهم الشاي..

قاطعه « جاسر » ببرود: ونحن نعرف الباقي.. لقد دسست لهم المخدر في الشاي.. ثم حملهم خادمك واحداً واحداً إلى هنا!

أجابه « فهمي » بغيظ: أنت ذكي مثل أبيك..

رد « جاسر » وقد بدأت أعصابه تثور: وأنت مجرم.. قاتل!

هز « فهمي » اصبعه ورأسه وقال: لا.. لا.. أنا لم أصبح قاتلاً بعد، انتظر حتى أخبرك بالطريقة التي سأتخلص بها منكم..

وأدار « جاسر » رأسه فيما حوله.. وأخذ يدير عينيه في المكان، ولاحظ وجود آلة غريبة بجوار الحائط، تعجب لوجودها وسط هذا الأثاث الثمين، وكانت تشبه الموتور ولها يد طويلة وسميكة.. ذات مقبض أسود..

وتابع « فهمي » نظرات « جاسر »، ولاحظ أنها توقفت عند الآلة، فقال بصوت صارخ — لماذا تنظر إلى هذه الآلة؟ هل تريد معرفة فائدتها؟

أجابه « جاسر » ببرود وعيناه تلمعان ببريق نشيط: لا أريد أن أعرف شيئاً!

لقد فهم « جاسر » فائدة الآلة.. إنها بغير شك هي التي أصدرت الصوت العالي عندما شعروا بيد تجذبهم إلى الداخل، إنها تدير

الصخر في لحظات قصيرة ليفتح باباً سرياً هو الذي جذبوه منهم.. وبصعوبة أدار « جاسر » رأسه عن الآلة.. ولكنه ركز نظراته على « هند » حتى تلتفت إليه.. كان قد بدأ يدبر خطة في رأسه..

واصل « فهمي » حديثه فقال: على الأقل تحبون أن تعرفوا مصيركم.. لا بأس سأخبركم به، وإن كان هذا هو السر الذي عشت أكتمه طوال عمري.. بعد دقائق سيحل المساء.. وعندي موعد هام.. موعد نهائي أغادر بعده البلاد إلى الأبد، وأصبح مليونيراً لا تنتهي النقود من يدي أبداً.. عندما يأتي موعدي الأخير بعد قليل سيقوم خادمي بتخديركم جميعاً، وسأصطحب معي « حسان » وبعض ما أحتاج إليه من هنا.. وأغادركم نهائياً.. عندما تفيقون من تأثير المخدر، سأكون قد اختفيت.. وستظلون هنا بلا طعام ولا شراب، ولن تستطيعوا الحركة فسأضع القيود الحديدية في أيديكم وأرجلكم جميعاً.. وسأترككم للموت.. تموتون جوعاً.. وعطشاً..

كان يتحدث بثقة وانهماك شديد.. فلم ير الأولاد الثلاثة يتحدث بعضهم إلى بعض بلغة العيون.. نظر « جاسر » إلى « هند » وعندما نظرت إليه قاد نظراتها إلى « فهمي بسيوني » ولمعت في عينيها نظرة فهم.. ثم نظر إلى « ياسر » ولما توجه النظر إليه قاد نظراته إلى « حسان ».. وفهم أيضاً..

وأشار « فهمي » إلى « حسان » إشارة فهم معناها..

وقال له: هيا.. فلتعد حقن التخدير.. إنها مجهزة كلها وراءك..

وأدار « حسان » ظهره، ونظر إلى مائدة صغيرة وبدأ يعد في انهماك شديد المخدر، ويضعه في الحقنة، وكانت هذه هي اللحظة المناسبة.. بدأت « هند » ترتعد.. هل تنجح الخطة.. إنها الوسيلة الوحيدة والأخيرة.. فإذا أخفقت فماذا سيكون مصيرها.. ومصير شقيقيها، والزملاء السبعة.. لا مصير غير الموت.. وشعرت بالشجاعة تواتيها فجأة، فنظرت إلى « جاسر » و « ياسر » وهتفت الآن..

في لحظة واحدة حدث كل شيء! هجم « جاسر » على « حسان ».. وقيد حركته، وألقت « هند » بنفسها على سلم العرش فتعثر فيها المجرم وهو يحاول القيام فاندفع ساقطاً على وجهه وفي اللحظة نفسها التي كان « ياسر » قد قفز فيها إلى الآلة يديرها بكل قوته مرة واحدة دورة تعلق بها مصيرهم كله..

واستجاب له الصخر، ارتفع صوت الآلة، وتحرك جدار كامل، اندفع منه على الفور « عجيبة » كالعاصفة وقد رأى « ياسر » يصارع « حسان ».. فتكفل وحده بشل حركته.. كان السبعة المقيدون ينظرون في ذهول، إنهم لا يصدقون ما حدث أمام أعينهم، وعندما وقف المجرم على قدميه لم يستطع أن يتحرك، فقد ارتفع صوت المقدم « عماد » يقول بصوت بارد وحاسم ــ وقد وقف في المدخل

السري ــ لقد انتهت لعبتك يا « فهمي »، ليس أمامك إلا التسليم..

ودخل جنديان فوضعا القيود الحديدية في أيدي « فهمي » و « حسان »، واندفعت « هند » تفك قيود والدها وهي تبكي.. وضمها والدها إلى صدره قائلاً ما أشد فخري بكم.. لقد أنقذتمونا جميعاً..

وعندما وقف السبعة على أقدامهم.. نظر الدكتور « عبد العليم » إلى «فهمي » ثم قال للضابط: أعتقد يا سيدي النقيب أنه يجب أن يعرض على طبيب أخصائي في علم النفس!

فهز المفتش « عماد » رأسه وقال: لا.. إنه ليس مريضاً.. إنه مجرم عريق في الإجرام.. لقد كان يتزعم عصابة لسرقة الآثار وتهريبها، وكنا نتتبعه وقد لاحظنا تسلل بعض الآثار إلى الخارج، ولكننا لم نعرف المخبأ الذي كان يخفي فيه المسروقات.. والآن وقد جمع كل هذه الآثار، كان ينوي تهريبها وبيعها في الخارج والحصول على ملايين الجنيهات، ولكننا قبضنا على العصابة كلها واعترفوا اعترافاً كاملاً.. ولم يبق إلا هو..

وابتسم وهو ينظر الى « هند » في حضن والدها وقال: والفضل طبعاً في سقوطه يرجع إلى المغامرين الثلاثة.. الأبطال.. وصديقهم العزيز « عجيبة »!

قال الأستاذ « جابر محمود »: حقاً نحن جميعاً مدينون لهم بحياتنا، لست أدري كيف أشكرهم.. ولكنني سأقيم حفلاً كبيراً أدعوهم إليه تقديراً لهم وتجديدا لعلاقتنا بعد كل هذه السنين!

وضحك المقدم « عماد » وقال: حفل ودعوة.. « تاني »!!

وضحك الجميع..

* * *

وعندما وصل المهندس « مختار الديب » وأولاده إلى منزلهم وجدوا والدتهم قد اعتراها القلق فهي تنتقل بين نوافذ البيت والضيق يملأ صدرها.. وعندما رأتهم أسرعت اليهم، وقبل أن تبدأ في تأنيبهم لاحظت على الفور أن والدهم معهم وقد بدا عليه الارهاق الشديد.. وقال لها على الفور: سامحيهم على التأخير، ويجب أيضاً أن تفخري بهم.. إنهم أبطال!

سألته ثائرة: أبطال؟ كيف ذلك؟

فضحك والدهم.. وقال: لا شيء.. هذا سر بيني وبينهم، ولكن يجب أن تعرفي أنك قد أنجبت ثلاثة من الأبطال الكبار..

وضحك الجميع حتى « عجيبة ».

وفي جلسة هادئة، بعد العشاء.. قص الأب القصة كلها على الأم.. ونظرت إليهم بقلق وإعجاب في وقت واحد وابتسمت ثم قالت: إنهم أبطال حقاً..



المغامرة القادمة :

سر اللص الأليكتروني

هذه هي المغامرة الأولى من نوعها..

المغامران ياسر وهند.. يقعان في ورطة لا مثيل لها..

فقد اكتشفا أن لص البنوك الخطير. هو المغامر الثالث جاسر!!

هل هذا معقول ؟!!

إنه حدث في أغرب مغامرة..

في المغامرة القادمة.. سر اللص الأليكتروني!...

هذه المغامرة

تأليف : عفاف عبد الباري

سرّ الأب المفقود

هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها المغامرون الثلاثة « ياسر » و « جاسر » و « هند » مغامرة تهدد حياتهم العائلية الخاصة..

فالضحية هذه المرة هو دعامة الأسرة وقائدها...

الضحية هو أبوهم العزيز...

اختفى فجأة!. أين ذهب؟. وكيف؟؟

ومن هو الفاعل المجهول.. وهل يعود إليهم حيًّا؟.

أسئلة.. سوف تجد الإجابة عليها في أقوى مغامرة انسانية بوليسية حتى الآن..

انتظر سر الأب المفقود!!

DAR AL JIL - EDITEUR DISTRIBUTEUR

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان


T
S
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net